

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01143 4929

PJ
783
.55
H3X
193

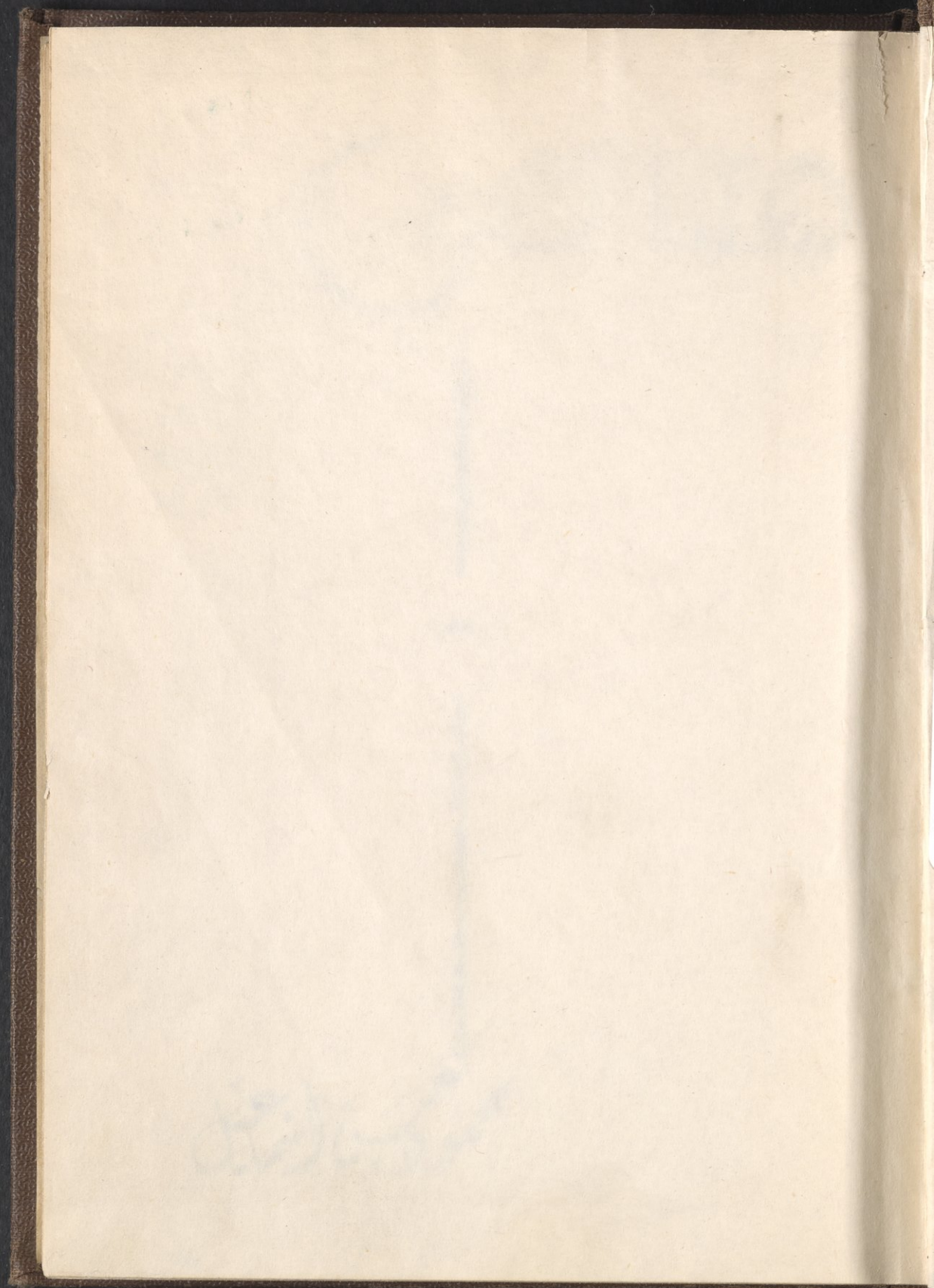
03-82805

Ant Jun 26th



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



TY

الج

هَلَا أَغَى

PJ
7838
S58
H3X
1938

١٩٣٨

محمود حسن الشمايل

٨١١, ٦

اسماعيل ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ،
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ،
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ،
يَفْقَهُوا قَوْلِي ،

٧٥٨٥٠

٥٥٥
الاهـداء...

«فَارُوقُ» نُورُكَ أُسْرَى بِي إِلَى فَلَكٍ ..
 فِي عَالَمِ الْخُلْدِ ... دَأَنْتُ لِي مَنَابِرُهُ !
 مِنْذُ انْتَشَيْتُ بِهِ ، وَالشَّعْرُ مُعْجَزَةٌ ..
 إِلَهَامُهَا مِنْكَ قَدْ فَاضَتْ زَوَاخِرُهُ !
 سَكَبَتْهُ مِنْ دَمِي ! فَاَنْسَابَ فِي وَتَرِي ..
 وَجَلَّجَلَتْ بِفَمِ الدُّنْيَا قِيَاثَرُهُ !
 فَاسْمَعْ بَوَادِيكَ لَحْنًا ، رَاحَ مِنْ طَرْبٍ ..
 يُزْهِى بِتَاجِكَ فَوْقَ الشَّمْسِ شَاعِرُهُ !
 وَثَبْتَ بِالْجَيْلِ حَتَّى اشْتَدَّ سَاعِدُهُ ..
 وَهَبَّ يَفْتَرِعُ الْجُوزَاءَ خَاطِرُهُ !
 وَالشَّعْرُ كَرَّمَتْ فِي الْآفَاقِ وَثْبَتُهُ ..
 فَرَوَعَتْ شَطَاطِيءُ الْوَادِي بَشَائِرُهُ !
 إِنْ كَانَ هَذَا وَحَظِّي فِيهِ أَوَّلُهُ ..
 مَاذَا يَكُونُ بَظِلِّ الْعَرْشِ آخِرُهُ ؟ !

بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

« لقد نال الشعر شرف الانشاد بين يدي
صاحب الجلالة الملك المعظم في احتفال الجمعية
الخيرية الاسلامية بدار الأوبرا الملكية مساء
٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧م فألقى الشاعر هذه
الفصيدة التي نالت الرضا العالى ، فأمر أعزه
الله بدعوته إلى المقصورة الملكية وتفضل حفظه
الله فصافحه بيده الطاهرة مبديا إعجابه السامى
وتقديره الكريم »



تُورَانِ . . نورٌ هُدًى ، ونورٌ تَبَسُّمُ
سطعا ، فراح الشعرُ يَسْطَعُ من فَمِي
فَهتَفْتُ : يا دُنْيَا الملائك طَهَّرِي
وَتَرِي ، وَمِنْ آيَاتِ وَحْيِكَ أَلْهِمِي
هَاتِي لِي النِّعَمَ الجديدَ ، بغيره
ما اهْتَزَّ للشعراء سَمْعُ الأنجُمِ
هَاتِي فَإِنَّ بعرشِ مصرَ مُمَلَّكًا
تاجُ العصورِ بِمثله لَمْ يَنعَمْ

أَوْفَى.. فَرُحْتُ إِلَى الْجُلِّ هَاتِفًا:
هَاتِي الشَّدَا مِنْ زَهْرِكَ الْمَتَبَسِّمِ
فُضِّي لِحُونَ الطَّيْرِ مِنْ لَهَوَاتِهَا
وَمُرِّي أَغَانِيَهَا — تَرْنُ بِمِرْقَى
وَدَعَى الصَّبَّاحِ وَنُورِهِ ، وَدَعَى الضُّحَى
وَعَبِيرَهُ يَنْسَابُ طُهْرًا فِي دَمِي
إِنِّي سَاهَتِفُ لِلْمَلِيكِ بَايَةَ
يَمَضَاءَ مِثْلَ جَبِينِهِ الْمُتَوَسِّمِ
مَوْلَايَ ! فَاهْتَزَّ الْوُجُودُ مَهْلًا
طَرَبًا ، وَإِنْ لَمْ يَشْدُ أَوْ يَتَكَلَّمِ
مَنْ رَامَ تَغْرِيدًا بِظِلِّكَ فَلْيَكُنْ
لِبَلَابِلِ الْخُلْدِ السَّوَاجِعِ يَنْتَمِي
اللَّهُ أَكْبَرُ ! مَا لَسَمْعِكَ هِزَّةٌ
بِسَوَى حَمَامِ الْجَنَّةِ الْمُرْنَمِ

« فاروق » حُبُّكَ فِي الْقُلُوبِ عَقِيدَةٌ
أَخَذَتْ سُورَاهَا فِي الْقُلُوبِ مَعَ الدَّمِ
قَسَمَتْ مَعَ الْإِيمَانِ قُدْسَ مَكَانِهِ
فِي الرُّوحِ ، وَهُوَ لَغَيْرِهَا لَمْ يُقَسَمِ
الشَّرْقُ يَقْرَأُ فِي جَيْدِنِكَ آيَةً
فَجَرُّ الرِّيْعِ بِنُورِهَا لَمْ يُوسَمِ
النَّيْلُ فَسَرَّهَا لَهُ مُتَخَايَلًا :
هَذِي مَنَارَةٌ كُلُّ قَلْبٍ مُظْلِمٍ
فِيهَا عِزَاءُ الشَّرْقِ عَنْ آلَامِهِ
وَمُنَاهُ بَعْدَ أُنَى وَطُولِ تَجَهُّهِ
اللَّهُ سَطَرَهَا لَتَارِيخِ الْحَمَى
بُشْرَى وَثُوبٍ لِلْعُلَا وَتَقَدَّمَ !

يَا عَاهِلَ الْإِسْلَامِ كَرَّمَ عَصْرَهُ
وَأَنْزَ بِهِ حَلَاكَ الْوُجُودِ الْمُعْتَمِ

أَلَقْتُ إِلَيْكَ يَدُ الْخَنيفِ زَمَامَهَا
 فَأَقَلْتُ عَثَرَتَهَا ، وَقَلْتُ لَهَا اسْلَمِي ١
 وَبَعَثْتُ عَهْدَ الرَّاشِدِينَ بِصَوْلَةٍ
 شَرَعُ السَّمَاءِ بِهَا حَدِيدُ الْمِعْصَمِ
 فَرَعِيَّتْ عَزَّ الصَّوْلُاجَانُ وَمَجْدَهُ
 وَخَطَرْتُ فِي وَرَعِ النَّبِيِّ الْمُكَلِّمِ
 وَحَمَلْتُ مَسْبِجَةً كَأَنَّ مَدَارَهَا
 فَلَقُ الْهُدَى لِلْحَاشِئِ الْمَتَبَرِّمِ
 حَبَابُهَا فَلَذُ الْقُلُوبِ خَوَاشِعًا
 عَظَّمَنَ بِاللِّمَاتِ آمَالَ الْفَمِ
 نَسَقُ مِنْ الْمُلْكِ انْفَرَدَتْ بَعْرُهُ
 لِسَوَاكُ فِي التَّارِيخِ لَمْ يَتَقَدَّمْ ١

فِي دَوْلَةِ الْإِحْسَانِ قَامَتْ عُصْبَةٌ
 لِلْخَيْرِ فِي جَنَابَاتِ عَرْشِكَ تَحْتَمِي

تأسو إذا جرح الزمان ، وتنبى
 قدراً يكفكف دمة المتيت
 كم ثاكل ردت فواجه قلبها
 نعماً ! وأسبغت النعيم لأيم
 ستارة الأعراض يغمر جودها
 ليل الحرائر في بياض الأنعم
 وتراها للمعوزين غرائس
 للقوت ، تثمر في خريف المعدم
 تعطى ولا من يشوب عطاءها
 وتجود جود العدل للمتظلم
 من تدب إلى النفوس خفية
 يجرى بها قدر الإله المنعم
 فكأنها الأحلام تهبط في الدجى
 للبائسين بخشعة وتحرم
 شرف العطايا أن تزف وحيدة
 كالسر بين تخفر وتحشم !

هي كعبة - للبؤس من إحسانها
بشرُ النبات بغيثه المترحّم
للعلم في أكنافها رى النهى
ولشكوة العلات برء المسقم
مولاي .. أسعدها بنورك إنها
بهذاك تفرعُ سباحات الأتجم
همم سيقن خطى الزمان بعزيمة
أوقدتها سبق القضاء المبرم
هتفت بك الدنيا فردّ هتافها
شعب يُفدى بالقلوب وبالدم !



لحن الزفاف

تغريدة في سماء عابدين



وهذه تغريدة الشاعر في سماء
عابدين بين يدي حضرة صاحب
الجلالة ملك مصر المعظم (فاروق
الأول) في الحفلة الساهرة التي
أقيمت بقصر عابدين الميمون
ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨
ابتهاجا بالزفاف الملكي السعيد .
لإجاية لرغبة سامية من جلالتها
أعز الله به دولة الأدب

شُدِّي المَـزَاهِرَ فِي الْقُلُوبِ . . وَرَتِّلِي
نَعَمَ السَّمَاءِ لِعَرْشِكَ الْمُتَهَلِّلِ
وَاسْتَلْهِمِي طَيْرَ الْجَنِّ أَنْ غِنَاءَهُ
وصَفَاءَ مَلْعَبِهِ بِشَطِّ الْجَدُولِ

واذا الحميلُ سَجَا ورَفَرَفَ طَيْرُهُ
 هاتِي مِنَ الْفَرْدَوْسِ أَرْخَمَ بَلْبِلِ
 وَدَعِيهِ يَصْدَحُ لِلْمَلِكِ بَايَةَ
 عَلِيًّا . . . لَغَيْرِ جَنَانِهِ لَمْ تُرْسَلِ
 يَا مَصْرُ عَرْشُكَ فِي الْمَبَاهِجِ رَافِلُ
 فَرْدِي النِّعِيمِ بِشَاطِئِهِ وَأَرْفُلِي
 حُورُ الْفَرَادِسِ يَنْتَظِرُن . . فَأَسْرَعِي
 لَصَبَاحِنَّ وَبُشْرِيهِ وَهَلْلِي
 وَاسْتَوْقِفِي رَكْبَ الْمَلَائِكِ ، وَاهْتِفِي
 لِلشَّمْسِ : هَلَّتْ شَمْسُ «مِصْرَ» فَأُقْبِلِي
 وَتَزَوَّدِي مِنْ طُهُرِهَا وَسَنَائِهَا
 زَادَ الْأَشْعَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَنَقَّلِي

«فَارُوقُ» نَجْمُكَ فِي الْبَشَائِرِ سَابِحُ
 فَقَدْ الْعُصُورَ بِنُورِ مُلْكِكَ وَاعْتَلِ

واسكب على الأيام مما نلتَهُ
 بشراً يصفق كالرحيق السلسلِ
 ذهبت تسير وراء عصرِكَ خُشَعاً
 تقنّاتٍ مِنْهُ أمانى المستقبلِ
 مولاى دَعها ترتوى مِنْ شاطىءٍ
 فى ظل تاجِكَ عبقريّ المنهلِ
 أنت الأمانُ بها لكل مُحيرٍ
 وبشارة الدّنيا لكل مؤملِ

« فاروق » حُبِكَ آيةٌ علويةٌ
 نزلت من الأرواحِ أقدسَ منزلِ
 الله ألهمها لشعبِكَ شرعةً
 كالوحي يُلهمُ للنبيّ المرسلِ
 حُشِدَتْ بساحتِكَ الجيوشُ بِمِثْلِها
 « رمسيس » لم يخطرْ بأعظم جَحفَلِ

فَاهْتَزَّ أَجْنَادُ الْمَلَائِكِ فَرِحَةً
 وَسَرَوْا إِلَيْكَ بِحَيْرَةٍ وَتَأْمَلِ :
 لِمَ هَذِهِ الْأَسْيَافُ حَوْلَكَ وَالظُّبَا
 وَاللَّهُ فَوْقَكَ حَارِسٌ لَمْ يَغْفُلِ ؟
 هِيَ لِلْحِمَى وَالْعَرْشِ نَصْرٌ خَالِدٌ
 لِمَحْتِ بِشَائِرِهِ يَمِينُ الصِّقْلِ !

هَتَفَ الْبَشِيرُ يَوْمَ عُرْسِكَ .. فَاَنْبَرَتْ
 زُهُرُ السَّكْوَاكِ فِي بُرُوجِكَ تَجْتَلِي
 وَأَطْلَتْ الْأَهْرَامُ تَشْهَدُ مَوْكِبًا
 « خَوْفُو » يَمِثِلُ عَلَاهُ لَمْ يَتَنَقَّلِ
 أَرْوَاحُ شَعْبِكَ حَائِمَاتٌ فَوْقَهُ
 يَنْهَلْنَ سَاكِبَ طَهْرِهِ الْمَتَسَلِّسِلِ
 خَشَعَتْ كَمَا خَشَعَ الْحَمَامُ ، وَرَتَلَتْ
 دَعَوَاتِهَا كِبْغَامِهِ الْمُرْسَلِ

وَأَتَمَّكَ ضَافِيَةَ الْخَنَانِ كَأَنَّهَا
أَسْرَابُ طَيْرٍ يَسْتَبِقْنَ لَجْدُولَ
فَرَوَيْتَ غُلَّتْهَا ، وَكُنْتَ لِقَلْبِهَا
بُشْرَى الْمَنَى لِلْيَأْسِ الْمُتَعَلِّلِ

يَا فَرْحَةَ الْأَوْطَانِ طُفْ بِزَمَانِهَا
بُرْءًا يَطْوِفُ بِالسَّقَامِ الْمُعْضِلِ
رُدِّ الْأَسَى عَنْهَا كَمَا رَدَّ السَّنَا
فِي الْفَجْرِ غَاشِيَةَ الظَّلَامِ الْمَسْبِلِ
وَانْشُرْ هُذَاكَ عَلَى مَفَارِقِهَا كَمَا
نَشَرَ السَّنَا فَلَقُ الصَّبَاحِ الْمُنْجِلِ
وَأَعِدْ لَهَا التَّارِيخَ أَصِيدَ شَاخِئًا
يُزْهِى بِتَاجِكَ فِي الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ
أَنْتَ الْمَنَارَةُ فِي دُجَى أَيَّامِهَا
وَالْغَوْثُ عِنْدَ الْحَادِثِ الْمُتَبَدِّلِ ١

زَفَيْتُ إِلَيْكَ الْحَوْرَ أَطَهَرَمَا بَرَّتْ
 فِي خُلْدِهَا كَفُّ الْإِلَهِ الْمُفْضِلِ
 طَهَّرُ الْمَلَائِكِ نَشْرَتُهُ هَالَةً
 شَمْسُ الرِّبْعِ بَنُورُهَا لَمْ تَنْجَلِ
 الْخُلْدُ عَطَّرَهَا بِأَطْيَبِ زَهْرَةٍ
 نَبَتَتْ لَدَيْهِ بِشَطِّ أَعْذَبِ مِنْهَلِ
 وَالْفَجْرُ زَفَّ لَهَا عِرَاسَ حُلْمِهِ
 يَخْطُرْنَ بَيْنَ تَبَسُّمٍ وَتَهَلُّلِ
 وَالتَّاجُ ظَلَّلَهَا بِأَرْوَعِ مَوَكِبِ
 بِهِجٍّ ، بَعِزِّ الصَّوْجَانِ مَسْرَبِلِ
 فَأَتَتْكَ مُشْرِقَةَ الْجَلَالِ كَأَنَّهَا
 تَهْلِيلَةُ الْفَرْدَوْسِ لِلْمُتَبَلِّلِ
 نَصْرٌ يُزَفُّ ! وَفَرَحَةٌ أَبَدِيَّةٌ
 تَهْتَرُ حَوْلَ رِكَابِكَ الْمُتَنَقِّلِ

« فاروق » ليلتك الخلود فقل لها:
زُفَى الخلود الى الحمى وتمهلى
كادت لها الأفلاك تمسُد موكبا
وتسير خلف ركابك المتهلل
بيضاء أترعت النعيم بظلمها
ونسختها للدهر أقدم مشعل
سجد الزمان لها ، وأقسم خاشعا
بالله يا بيضاء لا تتعجلى
طال انتظاري من عوالم « آدم »
لأراك : فانتظمت النجوم ، وأقبل
وتخطرى .. فبمثل نورك مازعت
أعراس « قيصر » في الزمان الأول
يا جاهل الشرق اصطفاك زمانه
لتكون للاسلام أكرم مؤئل
لك في ثبوت الله أروع سجدة
سطعت قداستها بريح الصندل

مَشَتْ الْخِلَافَةُ نُحُوءَ عَرْشِكَ تَبْتَغِي
 لِلشَّرْقِ وَالْإِسْلَامِ كُلِّ مُؤَمِّلٍ
 مَوْلَايَ ! قُدَّهَا فِي حِمَاكَ إِلَى دُرَا
 عَصْرِ بَسِيفِ الرَّاشِدِينَ مُظَلَّلٍ
 وَاسْمِعْ نَشِيدَ الرُّوحِ مِنْ مَتْرَنٍ
 طَيْرُ الْخُلُودِ بِسَحْرِهِ لَمْ يَهْدِلِ
 أَشْجَاكَ تَغْرِيدِي . . فَمَاكَ مَلَا حِي
 هَتَفَتْ بُوْحِي مِنْ سَنَاكِ مَنْزِلِ
 لِلشَّاعِرِينَ بِلَاغَةٍ فَضْفَاضَةٍ
 حُشِدَتْ بِلَفْظٍ فِي الْخُلُوقِ مَجَالِلِ
 وَأَنَا الَّذِي شِعْرِي نَفَاثَةٌ مُهْجِي
 سَكَبَتْ جَدَاوِلَهَا بِهَمْسِ السَّنْبِيلِ
 يَوْمَ الْفَخَارِ سَنَلْتَقِي . أَنْتَ الْعَلَا !
 وَأَنَا الصَّدَى فِي ظِلِّ عَرْشِكَ فَاصْغُرِي !



يَوْمُ التَّاجِ !

شَادِيكَ مَنْ قَصَبِ الْفَرَادِسِ نَائِيَهُ
وَمَنْ السَّنَا وَالطَّيِّبِ عَلَّ غَنَاؤُهُ
وَمِنْ الصَّبَا نَهَلَتْ ظِلَالِ أَرَاكِةٍ
سَجَّوَاءَ ، نَافِجُهَا غَفَتَ أُنْدَاؤُهُ
وَمِنْ الطَّفَاوَةِ فِي أَصِيلِ خَاشَعٍ
سَجَدَتْ عَلَى زَهْرِ الرِّبَا أَضْوَاؤُهُ
وَمِنْ الْأَغَانِي الْبَيْضِ رَنَّمَ لَحْنَهَا
مَلَكٌ تَرْقُرُقُ فِي النُّجُومِ دَعَاؤُهُ
وَمِنْ الْمَسَاجِدِ هَيْنَمَتْ تَحْتَ الدُّجَى
صُوفِيَّهَا نَهَلَ الْغُيُوبِ صَفَاؤُهُ
وَمِنْ الشُّعَاعِ الْمُسْتَهَامِ بِقُبْلَةٍ
فِي النِّيلِ طَهَّرَهَا هَوَاهُ وَمَاؤُهُ

وَمِنَ السَّنَا الرِّقَاقَ فِي قَدَحِ الضُّحَى
أَغْرَى النَّدِيمَ فَوَلَّوْا صَهَابُهُ
وَمِنَ الطَّلَاسِمِ قَدْ زَوَى أَرْصَادَهَا
هَرَمٌ أَشَابَ الْخَالِدِينَ فَتَاوُهُ
وَمِنَ الْهُدَى فِي ظِلِّ عَرْشِكَ خَلَّتْهُ
أَقْبَاسَ وَحْيٍ هَلْ مِنْكَ سَنَاوُهُ
سَجَدَاتُ وَجْهِ مُشْرِقٍ نَضَحَ التَّقَى
فِي كُلِّ مَالِحَةٍ بِهِ سِمَاوُهُ
لَوْ رَأَاهُ عَاتَى الْمَجُوسِ تَخَشَّعَتْ
لِلنَّارِ مِنْ غَى النَّهْيِ أَعْضَاوُهُ
لَا تُحَازَ فِي رَكْبِ النَّبِيِّ ، وَنَارُهُ
نُورٌ تَدْفُقُ فِي الصَّلَاةِ ضِيَاوُهُ
وَمِنَ الْهَوَى أَوْرَاهُ حُبُّكَ جَاحِمًا
أَشْهَى مِنَ النَّسَمِ الرَّطِيبِ صِلَاوُهُ
يَسْرَى لَظَاهُ بِكُلِّ مَسْبُوحٍ ذَرَّةٍ
فِيكَادُ يُشْعَلُ مِنْ هَوَاكَ فِضَاوُهُ

أَنِّي حَلَمْتُ نَسَخْتَ تَرْبُكَ مَعْبَدًا
تَخَضَّلُ مِنْ عَبَقِ الْمَنَى أَرْجَاؤُهُ
وَقَفَ الْمَغْنَى فِي حِمَاكَ مَجْلَجَلًا
بِالْحَنِّ تَخَفُّقُ فِي الْوَرَى أَصْدَاؤُهُ
فِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَهَلَاةٌ غَيْبُهَا
خَبَائِثُهُ عَنْ لَمَعِ الْحِجَابِ أَطْوَاؤُهُ
وَمِنَ الْكِتَابِ أَرْزَمَتْ أَسْلَاطُهَا
صَحَبٌ يَزْمُرُ بِالْفَتْوحِ نِدَاؤُهُ
وَمِنَ الْمَوَاكِبِ هَوَّاهَا فِي فَيْلَقِ
نَشْوَانُ فِي يَوْمِ الْفَخَّارِ لَوَاؤُهُ
وَمِنَ الْجِنَانِ الْفَيْحِ هَمْسُ طَلَاهَا
رِيًّا النُّشَارِ عَلَى الرَّبِّي يُمِضَاؤُهُ
رَجَزٌ بِأَرْغُولِ الزَّيْمَانِ شِدَا بِهِ
لَمَّا خَطَرَتْ صَبَاحُهُ وَمَسَاؤُهُ
حَتَّى إِذَا دَوَّى يَوْمُكَ هَاتِفٌ
أَسْنَى اللَّيَالِي بِالْمُنَى بُشْرَاؤُهُ

وانهلّ من جنبات عرشك سينكب
 طهر موج على الحمى لآؤه
 وأذغت من حجرات مذكك في الضحى
 قسماً أعزّ النيل منك ولاؤه
 قصف المغنى عوده ومضى الصدى
 خجلان ينتهب الأثير حياؤه
 يصغى! ويرغن خاشعاً! ويكاد من
 ندم تردّ له اللحن جواؤه
 أنشودة «الفاروق» هلّ شدوها
 ماذا سينشد بعدها شعراؤه .
 هي في فم الدنيا حديث خالد
 حدرته من شفة الغيوب سماؤه
 الله طهره وسلسل نبره
 جاماً يعلّ بقُدسه ندماؤه
 أوراؤ نسائك ، وجرس ماذن
 تكبيرها عمر القلوب دعاؤه

وَحَفِيفٌ أَدْعِيَةٌ ، وَهَمٌّ مِلَّةٌ
 بِالْوَحْيِ يَلْهَمُ غَيْبَهُ رُسُلًا
 دَعَى مِنَ الْأَشْعَاوِ مَهْمًا سَقَتْهَا
 إِعْجَازًا جَنِّ زَمَزَمَتْ أَفْئَاؤُهُ (١)
 مَنْ كَانَ هَذَا الطَّهْرُ فَيُضْ لِسَانَهُ
 فَالشَّعْرُ فِيهِ أَعَاجِمُ أَمْرًاؤُهُ !

 أَوْفَى عَلَى الشَّطِّ الظِّلِيلِ بَرْنَبَقِ
 خَضِلِ النَّسَائِمِ بَرَّةِ أَفْيَاؤُهُ
 يَنْسَابُ كَلَامَانِ وَشَعَّ سِتْرُهُ
 نَوْرٌ يَشْفُ سَمَاءَ الْعُيُونِ بِهَؤُوهُ
 مَخْشَعٌ لِلَّهِ فِي نَظَرَاتِهِ
 تَسْبِيحُ صَمْتِ زَانَةِ إِغْضَاؤُهُ
 وَلِصَوْلَةِ التَّيْجَانِ فِي قَسَمَاتِهِ
 مَعْنَى يَفْسَرُ كَلِمَهُ دِيَاؤُهُ

(١) جَمْعُ فَنٍّ وَهُوَ جَمَاعَةُ الْجَنِّ

مَمْلِكُ أَهْلٍ عَلَى الْحِمَى فَارْتَجَّ مِنْ
طَرَبٍ ، وَكَبَّرَ رَوْعَةً أَحْيَاؤُهُ
شَقَّ الضَّحَى بِرُكَّابِهِ فَكَأَنَّهُ
(رُمْسِيْسُ) تَزَارُ فِي الضَّحَى هَيَجَاؤُهُ
بِعُرَامٍ قَسَطَلَةٍ وَضَجَّةٍ فَاتِحِ
أَذْكَى حِمَاسِ الْهَالِكِينَ لِقَاؤُهُ
وَكَأَنَّمَا فُرْسَانُ (طَيْبَةٍ) جَلَجَلَتْ
فِي سَاحِهِمْ — مِنْ فَرَحَةٍ — أَنْبَاؤُهُ
فَتَقَلَّدُوا أَرْمَاحَهُمْ قِسْمِيَّهِمْ
وَمَضَوْا لِيَوْمٍ أَرْجَفَتْ غَبْرَاؤُهُ
مَشَقُّوا غُبَارَ الدَّهْرِ مِنْ أَرْمَاسِهِمْ
وَسَبَبَتَهُمْ — فَتَخَطَّرُوا — خِيَلَاؤُهُ
شَدَّهَتْهُمْ تِلْكَ الْحِمَائِلُ وَالظُّبَا
غُرُّ السِّلَاحِ عَلَى الْأَكْفِ وَضَاؤُهُ
نَشَمَوَى عَلَى الْأَجْيَادِ طَرَبٌ سَمِعَهَا
قَصْفُ الْمَدَافِعِ زُلْزَلَتْ أَرْجَاؤُهُ

وَشَدَّاهَا فِي الْجَوِّ لَحْنًا صَاحِبًا
 فَلَاكَ مِنَ الْفَوْلَاذِ ضَجٌّ فِنَاؤُهُ
 سَرَبُ النَّسُورِ السَّابِحَاتِ خِضَمَهَا
 ذَرُّ الْأَثِيرِ تَلَاطَمَتِ أَرْجَاؤُهُ
 نَظَرُوا إِلَى تِلْكَ الْمَوَاكِبِ جَبَّشَتْ
 حَشْدًا مِنَ الْأَرْوَاحِ ضَاقَ خَلَاؤُهُ
 أُمَمٌ ! وَأَجْيَالٌ ! وَدُنْيَا كُلُّهَا
 رَصَدٌ لِسَارٍ لَا يُمَلُّ رُؤَاؤُهُ
 سَدِكَتْ^(١) بِهِ الْأَبْصَارُ حَتَّى لَوْ ثَنَّتْ
 إِنْسَانَهَا لَارْتَدَّ فِيهِ عِمَاؤُهُ
 وَلَوْ أَنَّ أَفْوَاهَ الْخَلَائِقِ هَادَنْتْ
 خَفَقَ اللِّسَانُ لَمَارَ فِيهِ هُذَاؤُهُ
 وَرَأَوْا بَيَارِقَ رَفَرَفَتْ مَخْضُوبَةً
 بِدَمِ الْفَخَّارِ زَهَا بِهِ شُهَدَاؤُهُ

(١) علقت به بشدة ولازمته

خَيْلَتُ كِتَابَ الْمَجْدِ نُشْرَ لِلوَرَى
مَرَقِمْتُ هَلَالاً مُشْرِقاً طُغْرَاوُهُ
فَتَسَاءَلُوا : مَا النَّيْلُ ؟ مَا أَفْرَاحُهُ ؟
مَا يَوْمُهُ ؟ هَلْ كُشِفَتْ بُرَحَاوُهُ ؟
سَتَيْنَ عَاماً فِي الْقِيُودِ مَصْفِداً
يَجْرِي وَيَصْرُخُ فِي الشُّطُوطِ ظَمَاوُهُ
هَيَّا إِلَى كَهَّانٍ (مَنْفٍ) لَعَلَّهُمْ
كَشَفُوا الَّذِي أَعْيَا الْعُقُولَ خَفَاوُهُ :
وَإِذَا (بِخَوْفٍ) فَضَّ أَخْتَامَ الْبَلَى
وَالسِّرِّ لَمْ يَعْتَرُ بِهِ حَكَمَاوُهُ
هَذَا هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي يَمِينُهُ
وَجَبِينُهُ أَمْلُ الْحَمَى وَرَجَاوُهُ
عَرْشُ يُحَاكُ الْفَجْرُ مِنْ هَالَاتِهِ
فَيَرْوَحُ يَنْتَضِحُ السَّنَا إِمْسَاوُهُ
لَا الْمَلِكُ فِي أَبْرَاجٍ (تَذْمُرُ) حَازَهُ
يَوْمًا ! وَلَا حَظِيَّتْ بِهِ (زَهْرَاوُهُ)

الشرقُ ، وَالوَادِي الْأَبْيُّ ، وَشُعْبُهُ
 وَالنَّيْلُ ، وَالْهَرَمُ الْعَتِيدُ . . . فِدَاؤُهُ
 حَضَنَ (الْحَنِيفَةَ) فِي حِمَاهِ وَصَانَهَا ..
 أَقْسَمْتُ يَا (قُرْآنُ) مِنْكَ ضِيَاؤُهُ
 خَشَعَ الْحَمَامُ^(١) عَلَى وَشَائِعِ خَزِهِ
 يَا قُدْسَ مَنْ خَشَعَتْ لَهُ وَرَقَاؤُهُ !
 أَوْدَى (سُلَيْمَانُ) فِصَارَ بُغَامِهِ
 نَوْحًا ! وَجِئْتَ فَلَذَّ فِيكَ غَنَاؤُهُ
 مِنْ عَمْدِهِ هَجَرَ الْعِشَاشَ مَشَرَّدًا
 حَتَّى رَأَى فَأَسْبَغَتْ نَعْمَاؤُهُ
 حَوْمًا عَلَى « عَبْدِينَ » قُدْسَ جَوَاهُ
 وَعَلَى خُطَاكَ تَخَشَّعَتْ أَبْهَاؤُهُ
 لِلطَّيْرِ آثَاةٍ يُحَرِّمُ صَيْدَهُ
 فِيهَا . وَطَيْرُكَ خُلِدَتْ آثَاؤُهُ

(١) إشارة إلى حمامة الموكب التي لا ذت بالعربة الملكية في
 مهر جان التتويج آمنة مطمئنة كأنها من حمام سليمان عليه السلام .

لَمَّا رَأَى قُدْسَ النَّبِيِّ وَطَهْرَهُ
فِي وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ طَابَ ثَوَاؤُهُ
فَجِئْنَا وَكَبَّرَ فِي ذَرَاكَ مُرْنَمًا:
مَلِكُ الْوَرَى وَالطَّيْرِ عَزَّ عِلَاؤُهُ

مَوْلَايَ ! إِنْ تَرَنَّمِي سِحْرُ النَّهْيِ
فَاطْرِبْ ! فَمِنْكَ خِيَالُهُ وَبَهَاؤُهُ
يَا لَيْتَنِي مِثْلُ الْحَامِ بِظِلِّكُمْ
شَادَّ يَرِفُ مِنْ الْخُلُودِ مَوَاؤُهُ
حَتَّى أُرْفِقَ فِي النَّعِيمِ مَلَاخِي
وَأُذِيعَ إِعْجَازًا خَبَتْ أَصْدَاؤُهُ

عزس تهادى على النيل

« أهل نور » الفاروق « على مروج الصعيد
يوم خف ركابه العالى على النيل فى رحلته
الميمونة عام ١٩٣٦ م . فكان وحيًا لهذا
النشيد . »

مَنْ أنطقَ النيلَ بسحر البيانِ
يُزجى الترايم .. فتشجى الصبا
وترقص الأدواحُ فى مرجه
ينهلن فى الأسحار جام الندى
عرائسُ الفردوس مَحْدُورَةٌ
إذا سواجى الريح مرّت بها
وساجعات الريف زفت لها
فقل « لداود » ومزماره :
وموجه فوق الثرى شاعر
وقفت فى الشاطئ أهفو له
فطلّ يشدو بين تلك الجنان !
وينتشى من كأسها الشاطئان
سكرى تحيى بالعصون اللدان
وفى الضحى يخطر بالأرجوان
وهنّ سحرّ سافر للعيان
تهزج بين الطلح والسنديان
نواعم اللحن من السيسبان
هذا هو التسبيح يا عابدان
أحانه عن خافقى ترجمان
مطير الحس . طروب الجنان

أَشْدُّوا وَاوَيْشِدُوا. وَالضُّحَى سَامِعٌ
تَطَارَحًا نَجْوَى الْهَوَى فَرِحَةً
وَإِذْ بِمَلَّاحٍ هَتُوفَ الصَّدَى
الْعَرْشُ جَلَاءُ رَكَابُ الضُّحَى
فَخَرَّتْ الْأُمُوجُ قَدِيسَةً
وَرُحْتُ مِنْ رَوْعِ السَّنَاخِشَعَا
نَدَعُو وَتَدَعُو مِصْرُ مِنْ خَلْقِنَا
رَعَمْتُكَ يَا «فَارُوقَ» عَيْنُ السَّمَاءِ
كَأَنَّمَا فِي أَيْكِهِ بُدْبُلَانُ
فَرُتِلَتْ فِي صَمْتِهِ آيَتَانُ
يُومِي بِخَفَقِ الرُّوحِ لَا بِالْبَنَانِ
فَكَبَّرَا لِلنُّورِ يَا شَاعِرَانُ
جَائِثَةً فِي الرَّمْلِ فَرَطَ الْحَنَانِ
كَأَنَّمَا فِي مَسْجِدٍ نَاسِكَانُ
وَالنَّيْلُ، وَالْأَهْرَامُ، وَالْمَشْرِقَانُ:
وَعِصْمَةُ اللَّهِ.. فَسِرْ فِي أَمَانٍ !!

فَسَارَ وَالشَّمْسُ جَلَالًا لَهُ
وَتَلْبَسَ النَّوْرَ بُرُودَ السَّنَا
وَالنَّخْلُ لَمَّا شَعَّ فِي ظِلِّهِ
رَبِيعَ.. وَلَوْ يَسْتَطِيعُ مَدَّ الْخَطَا
وَسَارَ خَلْفَ الرِّكْبِ مِنْ فَرِحَةٍ
تَخَضَّبُ رَاحَ النَّيْلِ بِالزَّعْفَرَانِ
رَوْعَاءٌ لَمْ تَنْسَجْ حُلَاهَا يَدَانُ
لَمَحَّ سَرَى مِنْ نُورِهِ إِضْحِيَانُ
لَزَاحَمَ النَّيْلَ لَهُ مَوْكِبَانُ
أَغْرَتْ بِهِ فُرْقَةً هَذَى الْجِنَانِ

يَشْرَعُ مِنْ أَغْصَنِهِ رَايَةً
وَيَغْتَدِي جَيْشًا يَهْزُ الْوَرَى
وَمِنْ أَوَاسِي الْجَذَعِ حَدَّ السِّنَانِ
يَحْرُسُ عِزَّ الْمُلْكِ وَالضَّوْجَانَ!

جَبَابِرُ الْأَهْرَامِ خَفُوا لَهُ
لَمْ تُغْنِهِمْ رَوْعَةٌ تَيْجَانَهُمْ
وَأَقْبَلُوا فِي مَوْكِبٍ حَاشِدٍ
كَأَنَّهُمْ مِنْ فَرَحَةِ الْمَلْتَقَى
وَوَطِيئَةٌ سَارَتْ بِتَارِيخِهَا
يَصْدَحُ «بِنْتَاءُورِهِ» فِي رَكَبِهَا
دَوَى بِفِرْعَوْنَ قَدِيمًا فَمَا
وَعَادَ لِلنَّيْلِ بِقِيْشَارَةٍ
وَحِينَ شَامَ الْعَرْشَ فِي لُجَّةِ
وَطَلَعَةِ «الْفَارُوقِ» تَنْدَى سِنَا
هَلَّتْ عَلَى آثَارِهِمْ فِي الْبَلَى
وَلَوْ هَفَّتْ مَرًّا لِتَابُوتِهِمْ
فَعَاوَدَ الْقِيْشَارَ.. تُوحِي الصَّدَى

جَنْدًا ضَفَاةَ الدَّرْعِ وَالطَّيْلَسَانِ
فَوْشَّحُوا بِالطَّلِّ وَالْأَقْحَوَانِ
«خَوْفُو» وَ«رَمْسِيْسُ» لَهُ قَائِدَانِ
قَدْ عَجَلُوا لِلْبَعْثِ قَبْلَ الْأَوَانِ
تَحْتَالُ فَوْقَ النِّيلِ فِي مِهْرَجَانِ
مَجْلَجَلًا يَرْهَبُهُ الْخَافِقَانِ
أَبْقَى لِشَادٍ فِي الْأَوَالِي بَيَانِ
مَحْطُومَةٍ جَفَتْ عَلَيْهَا الْيَدَانِ
وَالطَّيْرُ وَالنَّاسُ لَهُ هَاتِفَانِ
يَغَارُ مِنْ بَهْجَتِهِ الْفَرْقَدَانِ
فَأَشْرَقَتْ لِلْعَيْنِ رِيًّا الدَّهَانِ
وَخَاطِبَتُهُ: كُنْ حَيَاةً! لَكُنْ..
مَعْرِبِدًا يُسْكِرُ بِنْتَ الدَّنَانِ

وراح يلقى سحره للورى
عرس لفاروق أتى يومه
يصفى إليه كل إنس وجأن
وكان صمتاً من قديم الزمان

«فاروق» احيالك شباب الحمى
وافاك عفاً من حمى عبقر
وعشت فخر الشرق فى كل آن
- يكاد يسرى بصداه الأذان -
شعرى من الأحشاء يجرى دماً
وشعرى غيرى من حواشي اللسان
ما كل من غنى ! فشتان ما
لحن من الله ، ونقر البنان !

مِيلَادُ الْفَائِرُوتِ

بُلْبُلٌ مِنْ عِرَائِشِ الْخُلْدِ طَائِرُ
غَمَرَ الْكَوْنَ سَجَّعَهُ بِالْبَشَائِرِ
طَهَّرَتْ لَحْنَهُ السَّمَاءُ ، وَقَالَتْ
لَطِیُورِ الْجَنَانِ : هَاتِي الْقِيَّائِرُ
وَأَبْسَى مِنْ ضُحَاكِ أَجْنَحَةِ النُّورِ
رَ ، وَفُضِّي عَيْرَهُ فِي الْحَنَاجِرِ
قَدْ جَعَلْتُ الْأَمَانَ مَسْرَاكِ ، فَأَمْضَى
فِي سَلَامٍ ، رَعَمْتَكَ عَيْنُ الْمَقَادِرِ
وَأَنْشَدَى فِي مَسَاحِ الْكَوْنِ عَرْشًا
لَمْ تَحْزَنْ مِثْلَهُ بَرْوَجِ الْقِيَاصِرِ
وَإِذَا مَا لَحَتْ سِدَّتُهُ الْعَدَا
يَا ، وَنَادَتْكَ مِنْ حَمَاهُ الْمَفَاخِرُ

فأهبطى فى ظلاله ، وتغنّى
وانهى العطر من جيوب الأزاهر
واسكبي الشعر من لهاتك سحراً
لم تلقئه قُدرتى أىّ ساحر !

فانبرى الطائرُ البشيرُ إلى الأُر
ضٍ يُباهى بسرّه كل عابر
سأله النجوم : أيان تمضى ؟
وإلى أىّ جنّة أنت طائر ؟
عُشك الخلد ! والملائك فيه
من أغانيك راقصات سواكر
فعلام انتهجت سيرك للآر
ضٍ ، وخلفت عُشك اليوم حائر ؟
قال : كفى الملام ! إني بشير
بصباح للشرق أبيض زاهر

فَدَعَيْنِي أَزْفُ بُشْرَى هِيَ النُّورُ
رُ تَهَادَى شُعَاعُهُ لِلنَّوَاطِرِ
جَنَّةُ النِّيلِ أَسْعَدَتَهَا يَدُ اللَّهِ —
— يَوْمِ كَضْحَوَةِ الْخُلْدِ سَافِرُ
عَبَقَرِي الضِّيَاءِ تَعَشَّى بِهِ الشَّمْسُ
سُ وَيَرْتَدُّ طَرْفُهَا عَنْهُ حَاسِرُ
شَدَّةَ الْغَيْبِ فَاسْتَسْرَّ لَنْجُوا
هُ ، وَرَاحَ النِّهَى ، وَهَاجَ السَّرَائِرُ
سَجَدَتْ خَلْفَهُ الْعُصُورُ جَلَالاً
كُلُّ مَاضٍ ، وَكُلُّ آتٍ وَحَاضِرُ
وَالْمَحَارِيبُ كَبَّرَتْ ، وَتَنَادَتْ
بِجَلَالِ الْأَذَانِ يَبِضُّ الْمَنَائِرُ
وَالْهَدَى فِي مَسَاجِدِ اللَّهِ أَضْحَى
يَسْكَبُ الْبُشْرَى فِي حَوَاشِي الْمَنَابِرِ
وَالْفَرَاعِينَ أَوْشَكُوا حِينَ شَقَّتْ
مَوْجَةُ النُّورِ خَطْوَهَا فِي الْمَقَابِرِ ۝

فِي هُدُوءِ الْبَلَى يَقِيمُونَ عُرْسًا
لَمْ يُقْمِهِ فِي الْأَرْضِ أَبْهَجُ سَاكِرِ
عَاجِلُوا الْبَعْثَ وَاسْتَطَارُوا مِنَ الْفَرِ
حَةِ سَارِينَ فِي الرَّبِّي وَالْمَخَاضِرِ
وَشَجُّوا النَّخْلَ بِالضِيَاءِ ، وَشَدُّوا
مِنْ خِيوطِ الْأَنْسَامِ قَلْبَ الْمَزَاهِرِ
وَمَضَوْا يَهْزِجُونَ ، وَالْفَجْرُ صَاحٍ
وَحَمَامُ الرَّيِّعِ نَشْوَانُ ذَاكِرِ
وَعَلَى سُنْبُلِ الْحَقُولِ صَلَاةُ
ذَابَ فِي صَمَتِهَا صَفِيرُ الْقَنَابِرِ
وَالسَّوَاقِ مُزْغِرِدَاتُ وَلَكِنْ
بَعْدَ ، طَالَ نَوْحُهَا فِي الْمَقَابِرِ
شَابَ فِي مَرْجِهَا الْأُنَيْنِ ، فَرَدَّتْ
هُ خُلُودًا مِنَ الْأَغْنَانِ السَّوَاحِرِ
فَرِحَةٌ هَزَّتْ اللَّيَالِي ، وَسَاقَتْ
بَعْدَ يَأْسِ الزَّمَانِ دُنْيَا بَشَائِرِ

سَأَلْتُ (طِيبَةً) النُّجُومَ عَلَيْهَا :

أَيُّ رَكْبٍ إِلَى حَمَى النِّيلِ سَائِرُ !

فَأَجَابَتْ : مِيلَادُ « فَارُوق » أَوْفَى

فَانْفُضِي خَيْلَةَ الْمُلُوكِ الْغَوَابِرِ

وَاسْتَعِيدِي عُلاكَ ، وَازْهَيِ عَلَى الدُّنَى

يَا وَتِيهِي عَلَى جَمِيعِ الْخَوَاصِرِ

بِشَّرِّ الْجِيلِ بِالْمُنَى ، فَهِيَ لَمَحٌ

مِنْ جَبِينِ الْمَوْلُودِ يَمْحُو الدِّيَّاجِرِ

مَلِكٌ زَفٌّ لِلْعَوَالِمِ عَصْرًا

مَا لِأَعْيَادِهِ مَدَى الدَّهْرِ آخِرُ

خَطْوُهُ رَحْمَةٌ ، وَلُفْيَاهُ سَعْدُ

يَعْقُدُ الْيَمْنَ لِلْجُدُودِ الْعَوَاطِرُ

حَمَلُ السَّيْفِ قَائِدًا ، وَحَمَى الدِّيِّ

— نَ إِمَامًا يَصُونُ قُدْسَ الشَّعَائِرِ

قَبَسَ النَّاسِكُونَ مِنْ وَجْهِهِ النُّورَ —

رَ ، وَمِنْ طُشْرِهِ عَيِّرَ الْمَجَامِرُ

حُبُّهُ أَشْعَلَ الشَّبَابَ فَأُضْحَى
 طَيْفُهُ بِالْجَلالِ يَذْكِي الْمَشَاعِرَ
 أَوْقَدُوا الرُّوحَ فِي الْمَشَاعِلِ ^(١) نُورًا
 حَوَّمَتْ فَوْقَهُ النُّفُوسُ الطَّوَاهِرُ
 زَيْتُهَا كَانَ مِنْ دِمَائِهِ ، وَكَانَتْ
 حَرَكَاتُ الْفَتِيلِ خَفَقَ السَّرَائِرُ
 وَأَقَامُوا بَظْلًا تَاجَكَ عُرْسًا
 تَقَلَّتْ عِطْرَهُ طُيُوبُ الْمُبَاخِرِ
 وَأَذَاعُوا النِّشِيدَ تَحْسَبُ فِيهِ
 شُعْلًا مِنْ صُدُورِهِمْ يَتَطَايَرُ
 قِسْمًا بِالَّذِي رَعَاكَ لَتَحْمِي
 (مَصْرَعٌ) مِنْ سَطْوَةِ اللَّيَالِي الْجَوَائِرِ ؛
 مَا زَهَا فَاتِحًا ! وَلَا اهْتَزَّ عَرْشُ
 لِمُلُوكِ الْوَرَى بِتِلْكَ الْمَفَاخِرِ !

(١) إشارة إلى مهرجان المشاعل الذي أقامه شباب الجامعة
 المصرية في ساحة عابدين ليلة ميلاد القاروق .

إليه مولاي ! واستمع لنشيد
سخره أوقف الطيور العوابر
قدست لحنه بسمعمك (عبد
من) فأسرى إلى الخلود وهاجر
نور يملك جدول عبقرى
في جناني من زحمة الوحى ثائر
تأكل الحاسدين نار التجنى
وأنا من رحيقه العذب ساكر
قسماً ما شدوت شعراً . . . ولكن
سقت للعرش - فادياً - قلب شاعر



« الفاروق » في بيت الله !!

أَوْفَى إِلَى يَنْتِ إِلَهِ ! كَأَنَّهُ وَحَى إِلَهِ
وَكَأَنَّهُ الْإِيمَانُ أَشْرَقَ نُورُهُ ، وَضَفَا سَنَا
وَكَأَنَّهُ الْأَلْهَامُ تَسَطَّعَ بِالْقَدَاسَةِ صَفْحَتَاهُ ..
مَلِكٌ تَكَادُ لِنُورِهِ - مِنْ رَهْبَةٍ - تَعْنُو الْجَبَاهُ
سَمِعَ الْأُذَانَ فَرَّاحَ يَخْفُقُ فِي جَوَانِحِهِ صَدَاهُ
وَسَرَى فَظْلٌ لِرُكْبِهِ الْهَادِي يُكَبِّرُ مَنْ رَأَاهُ
لَا صَوْلَةَ التَّيْجَانَ رَدَّتْهُ وَلَا وَقَفَتْ خُطَاهُ
طَفَرَتْ إِلَى الْمَحْرَابِ لَوْعَتُهُ وَقَرَّ بِهِ هَوَاهُ
فَجَنَّا الَّذِي تَجَشَّوْا لِهَيْبَتِهِ وَتَهَنُّوا الْحَيَاةُ
زَكَتِ الْمَبَاخِرُ مِنْ نَوَافِجِهِ وَضَاعَتْ مِنْ شَدَاهُ
وَالْمَنِيرُ الْقُدْسِيُّ مَالَ وَرَاحَ يَقْبَسُ مِنْ هُدَاهُ
وَمَسَابِيحُ النَّسَاكِ قَالَتْ حِينَ كَبُرَ لِلصَّلَاةِ :
قِفْ يَا « أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! » فَأَنْتَ لِلْإِسْلَامِ جَاهُ
الشَّرْقِ يَأْمَحُ فِيكَ عِزَّتُهُ فَأَبْلَغُهُ مُنَاهُ
وَالدِّينُ مَاتَ ! فَأَخِيهِ بِهِدَاكُ ! أَحْيَاكَ إِلَهِ !!

مِنْ نَارِ الْمُعْتَرِكِ

کتابخانه

« ألفت في أحد المؤتمرات الوطنية التي
عقدتها الشباب في (مصر) احتجاجاً على تصريح
المستر هور وزير خارجية إنجلترا إبان ثورة
سنة ١٩٣٥ م ».



هاجها مزهرى وقد خنق القيدُ
— أناشيدُهُ فضجَّ وثارا
وهى حيرى تُطلُّ لهفى على النيل
— وترئو المتعبين حيارى
مُنذُ خمسين .. لم تحرك اليهم
قدماً ، أو تطق إليهم مزارا
درجت في السنين من عهد «خوفو»
حرّة ما وعت لديها إساراً

عقدت تاجها على الشمس كبراً
أن يحلّي جواهرها ونضارا
وبنت عرشها على مفرق الأهرا
م زهواً بمجدها وافتخارا
وجرى النيل ساجداً بين كفيها
ها جلالاً وروعةً وصغارا
ثم دار الزمان دورة نحس
فاذا حظها مع النحس دارا...!
وإذا راهب أتاه من الغر
ب تقى يروم منها الجوارا
قال : إنجيلي السلام ! فقالت :
مرحباً بالسلام خلاً وجارا
أنا ريحانة الغريب ، وكهف
للذي عزه الحمى فاستجارا
نبلي الخمر . ذق طلاه ، وقل لي :
أين خف الجنان منك فطارا ؟

سَلَسَلٌ يُلْهِمُ الْهَدَى لِلَّذِي ضَلَّ
 - وإنْ كانَ فَاجِرًا كَفَّارًا
 وَجِنَانِي مَنْصُرَاتٍ حَوَالِ
 حَالِمَاتٍ تُرَوِّعُ الْأَفْكَارَ
 جَوْسَّةٌ فِي خِلَالِهَا تُرْقِصُ الرُّو-
 حَ صَفَاءً ، وَتُسَكِّرُ الْأَعْمَارَ
 كَانَتْ الطَّيْرُ سُكَّتًا .. فَتَهَادَتْ
 فِي سَمَائِي ، فَهَاجَتْ الْأَطْيَارُ
 فَذَا مَا الْمَسَاءُ عَطَّلَ فَاهَا
 نَقَرَتْ فِي الصَّبَاحِ دُقًا وَطَارَا ..
 أَنَا فِي الشَّرْقِ هَالَةٌ لَوْ رَأَاهَا
 فَاقْدُ اللَّمَحَ فَجَرَّ الْأَنْوَارَ
 أَنْطَقَتْ «بَنْتَوْر» فِي صَمْتَةِ الدَّهْرِ
 رَ فَغَنَى وَخَلَّدَ الْأَشْعَارَ
 أَنَا ذِيرُ الْجَمَالِ يَا رَاهِبَ الْغُرَى-
 - بَ فِهَيْجٌ بِسَاحَتِي الْمِزْمَارَ

جُسْرٍ حَابِي، وَطُفٍ حَوَالِيٍّ، وَاخْشَعُ،
وَادْعُ مَا شِمْتُ جَهْرَةً وَسِرَارًا
إِنَّ لِلضَّيْفِ فِي حِمَايَ - وَإِنْ ذَلَّ
[م] حِمَاهُ - مَعَزَّةً، وَوَقَارًا ...
فَشَجَى الرَّاهِبَ الْمُقَنَّعَ مَا قَا
لْتُ، وَأَلْقَى عَنْ جَانِبَيْهِ الْعِذَارَا
وَسَرَى فِي الدِّيَارِ تَصْحَبَهُ الْفَتَا
سَكَّةُ أَنَّى مَشَى وَأَيَّانَ سَكَرَا
سَاطِيًّا فِي الْخَفَاءِ أَنَا، وَأَنَا
يَمْتَلُ النَّاسَ لَا يُبَالِي جَهَارًا
أَطْمَعَتُهُ غَضَاضَةُ الْقَوْمِ حَتَّى
ظَنُّهُمْ - ضَلَّةً - لَدَيْهِ أَسَارَى
فَبَدَأَ بَيْنَهُمْ هَزَبًا إِذَا مَا
صَاحَ خَلْفَ الْقَطِيعِ وَلَّى فِرَارًا
كَلَّمَا ضَجَّ مِنْهُمْ قَلْبُ حُرٍّ
أَتَرَعَ الْكَأْسَ مِنْ دِمَاهُ عُقَارًا

وَقَحَّتْ طَبْعَهُ الْقَذَائِفُ تُلْقَى
لَمْ يَرُعَهَا الرَّدَى ، وَلَمْ تَخْشَ ثَارَا
تَسْفِكُ الرُّوحَ بِاللَّظَى ! وَهِيَ تَمَلَى
رَاوِيَاتٌ مِنْ الدَّمَاءِ سُكَارَى
عَلِمَتْهُ السَّفَاهَ فِي مَنْطِقِ الْحَقِّ
— فَأَخْزَتْ حَيَاءَهُ الْمُسْتَعَارَى
قَالَهَا « هُورٌ » كَلِمَةً سَاقَهَا الْبَطْشُ
— فَجَرَّتْ عَلَى حِمَى النِّيلِ عَارَا
كَمْ أَسَتْ أَنْفُسًا ! وَأَفْنَتْ ضَحَايَا
فِي صَدَاهَا ! وَجَرَّحَتْ أَحْرَارَا !
أَيَقُظْتُ (مُضَرٍّ) مِنْ سُبَاتٍ لَوْ أَنَّ الصَّ
نَجَرَ فِيهِ لَمَا أَطَاقَ الْغَرَارَا
فَرَنْتُ نَحْوَ ضَيْفِهَا عَلَّ عَتْبَا
يَزْعَوِي مِنْهُ أَوْ يَسُوقُ اعْتِدَارَا
فَإِذَا بِالمُسُوحِ شَعْرَاتٌ ذُتِبَ
خَشَى السَّطَوَ جَهْرَةً فَتَوَارَى !

وَإِذَا الدَّيْرُ فَوْرَةٌ مِنْ دَمَاءٍ
تَتَلَطَّى فَتُفْرِغُ الْأَقْدَارُ ؟

وَإِذَا بَالَّتْ شَجَاهَا نَشِيدِي
وَمَرَى جَفْنُهَا الدُّمُوعَ الْغِزَارَا ،

هِيَ (مَصْرُ) الَّتِي أَثَارَ شَجَاهَا
أَنْ تُطِيقَ الْقُلُوبُ عَنْهَا اصْطِبَارَا

كَبَلُوهَا بِكُلِّ قَيْدٍ أَثِمِ
عَاقِبَهَا أَنْ تَجُوسَ تِلْكَ الدِّيَارَا

سَأَلْتَهُمْ : عَلَامَ أُسْرَى ؟ فَصَمُّوا
وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارَا !

فَابْعَثُوهَا تُصِمُّ سَمْعَ اللَّيَالِي
نُورَةً تُضْرِمُ السَّمَا كَيْنِ نَارَا

مَاتَ عَهْدُ الْكَلَامِ ! فَلْنَجْعَلِ الثَّوْ—

رَةَ وَالْمَوْتَ لِلْجِهَادِ شِعَارَا !!

على منزع الحرية

« ألفت في احتفال الأمة المصرية بذكرى
شهيد « دار العلوم » في ثورة ١٩٣٥ م وهي
استيحاء موكب من مواكب الشهداء شق
القاهرة وهي تضطرم كالجزوة في غروب يوم
من أيام الثورة السالفة الذكر »

يَا وَادِي الْمَوْتِ بِشَطِّكَ رَاقِدٌ
خَفَقَتْ لَهُ الْأَرْوَاحُ بِالصَّلَوَاتِ
مَا ضَمَّهُ جَدَثٌ هُنَاكَ . . وَإِنَّمَا
حَضَنَتْهُ دُنْيَا النُّورِ فِي هَالَاتِ
سَهَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكُ
تُضْفِي عَلَيْهِ سَوَابِغَ الرَّحْمَاتِ
أَلْقُ الضُّحَى فِي سَاحِهِ مُتَصَوِّفٌ
وَرَعٌ يَطُوفُ بِأَقْدَسِ الْحُرُمَاتِ
وَعَوَابِرُ الْأَنْسَامِ تَخْطُرُ حَوْلَهُ
رِيًّا بِنَفْحِ عُطُورِهِ عِبَقَاتِ

تَسَابُ خَاشِعَةً ، وَتَسْرُبُ عَفَّةً
 كَمَطِيَّبٍ يَمْشِي عَلَى عَرَافَاتٍ ١
 وَالْفَجْرُ قَبْلَ شُرُوقِهِ فَوْقَ الرَّبِّي
 يَخْتَارُ مِنْهُ وَشَائِعًا أَلْقَاتِ
 أَفْوَافٍ مِنْ لُمَعِ السَّنَاءِ ، وَمَطَارِفُ
 يَلْقَى غَلَائِلَهَا عَلَى الرَّبَّوَاتِ
 وَيَسُوفُ عِطَرَ الْخُلْدِ مِنْ جَنَابَاتِهِ
 وَيَذِيعُهُ مِنْ أَكْوُسِ الزَّهْرَاتِ
 سَأَلَ الدُّجَى أَسْدَافَهُ لَمَّا بَدَتْ
 فِي لَيْلِهِ الْغِيَانِ مُلْتَمِعَاتِ :
 مَا بَالُ مَا أَسْدَلْتَهُ فَوْقَ الْوَرَى
 وَضَفَوْتَهُ مِنْ حَالِكِ الظُّلُمَاتِ
 لَمَّا نَزَلْتَ بِهِ عَلَى هَذَا الْحَمَى
 أَضْحَى مُتَوَعِّدِ الشَّمْسِ فَوْقَ رَبَاةٍ ؟
 فَأَجَابَتْ الْأَسْدَافُ : إِنَّ مُضَرَّجًا
 بَدَمَ الْفِدَاءِ أَضَاءَ لِي قَسَمَاتِي

لَمَّا لَمَحْتُ رُفَاتَهُ خِلْتُ الضَّحَى
يُزْجِي رِكَابَ النُّورِ فَوْقَ سِمَاتِي
سَمَّوَهُ فِي الْوَرَقِ الشَّهِيدَ وَمَا أَسْمُهُ
إِلَّا الْخُلُودُ بِصَنْحَةِ الْمُهْجَاتِ !

مَا زَالَ سِحْرُ النِّيلِ طَى حَفِيرِهِ
يِرْتَاعُ مِنْهُ الذَّرُّ فِي الْحَصِيَّاتِ
وَطَلَّاسُمُ الْأَهْرَامِ فَوْقَ جَبِينِهِ
قَبَسُ الْخُلُودِ يَشْعُ لِلنَّظَرَاتِ
وَشِعَاعَةُ الْإِيمَانِ تَشْرِقُ بَيْنَهَا
كَالْنَّجْمِ يَسْكُبُ رَائِعَ اللَّمَحَاتِ
وَشَوَاطِئُ هَيْجَتِهِ يَكَادُ عَلَى الثَّرَى
يُذْ كَى اللَّظَى بِالْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ
مِلْ نَحْوِ مَضْجَعِهِ ! وَأَصْنَعْ لِحَرْحِهِ
وَأَسْمَعْ نَشِيدَ الدَّمِ فِي الْقَطَرَاتِ !
مَا زَالَ يُتْرَعُ تَوْرَةً مِنْ قَلْبِهِ
خَرَسَاءَ مُفْصِحَةٍ بِلَا نَبَرَاتِ

وَكَأَنَّ آخِرَ لَفْظَةٍ هَتَفَتْ بِهَا
 شَفَتَاهُ ، مَزْمُورٌ مِنَ التَّوَارِقِ
 وَكَأَنَّ أَجْرَاحَ الْأَمْنَةِ رَايَةً
 حَمْرَاءَ شَهْرَهَا الدَّخِيلُ الْعَاتِي
 لَمَحَ الشَّهِيدُ خَيَالَهَا ، فَنَضًّا لَهَا
 رُوحًا يَثُورُ بِأَصْلَابِ الْعِزَمَاتِ
 وَأَحَالَهَا مِزْقًا صَوَاغِرَ أَصْبَحَتْ
 كَفْنًا يُذِيقُ الْقَيْدَ مَرًّا شَمَاتِ
 وَارْتَدَّ فِي رِيَعَانِهِ مُسْتَشْهِدًا
 يُزْهِى بِقُدْسِ الْمَوْتِ فِي الْحُفَرَاتِ
 وَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْقَ مِنْ كُرْبِ الرَّدَى
 إِلَّا رَسِيسَ ضَنَى وَظِلَّ صُمَاتِ !

أَعْوَادُ زَانٍ كَنَّ فِي كَنْفِ الْبَلِي
 صُفْرًا ، نَبْذَنَ بِأَبْشَعِ الْكُسَرَاتِ

حُمْلَنَهُ فَأَعَادَهُنَّ عَرَائِشًا
 تَخْضَلُ فَوْقَ الْهَامِ مُؤْتَلِقَاتِ
 وَكَأَنَّ بَيْنَ حَنَوطِهِ رِيحَانَةٌ
 أَزَلِيَّةٌ هَرَبَتْ مِنْ الْجَنَّاتِ
 نَسَمَتْ عَيْرَ الْخُلْدِ طَى سُتُورِهِ
 وَتَرَعَرَعَتْ فِي رَيْقِ النَفَحَاتِ
 وَتَرَى الشَّمُوعَ الْمَوْقِدَاتِ لِنَعْشِهِ
 شُعْلًا مِنْ الْفَرْدَوْسِ مُبْتَعَثَاتِ
 تَهْتَزُّ وَالْهَيَّةَ ، وَتَغْضَى رَهْبَةً
 كَنُودٍ فِي الرَّكْبِ مُسْتَحْيَاتِ ١
 وَالسَّابِرِيُّ تَخَالُهُ مِنْ طَيْبِهِ
 بُرْدَ النَّبِيِّ مُعْطَرِ الصَّفَحَاتِ
 لَفَّ الشَّهِيدَ مُطَهَّرًا فَحَسْبَتْهُ
 مَلَكَ تَهِيئًا مَهْدُهُ لِسُبَاتِ
 حَارَتْ شِفَاهُ الْهَاتِفِينَ حَيَالَهُ
 مَاذَا تَنْصُ لَهُ مِنْ الدَّعَوَاتِ ١

وَاهْتَاجَتْ الْغَيْدُ الْغَوَانِسُ حَيْرَةً
مَاذَا يُفَضِّنُ لَهُ مِنْ الشَّرُفَاتِ ؟
الزَّهْرَ ؟ مَا تَطْيَابُهُ ! وَالْعَطَرُ ؟ مَا
تَسْكَابُهُ لِمُعَطَّرِ النَّسَمَاتِ !
وَالْحُسْنَ ؟ مَا تَلْمَاحُهُ ! وَاللَّحْنَ ؟ مَا
تَصْدَاحُهُ لِمَفَجَّرِ النَّغَمَاتِ !
خُيِّنَ حِينَ رَجَوْنَ آيَةً سَلْوَةً
فَوَجَّحْنَ مِنْ هَوْلِ الرَّدَى جَزَعَاتِ
يَتَمَنَّ أَذْمُعُهُنَّ مِنْ طَوْلِ الْبَكَاءِ
وَوَظَلَلْنَ فِي الْأَبْرَاجِ مُكْتَنَبَاتِ !
وَدَنَا الشَّهِيدُ مِنَ الْقُبُورِ فَأَرْعَشَتْ
طَرَبًا بِمَقْدَمِ نَعَشِهِ فَرِحَاتِ
كَحَمَائِمِ نَزَحَتْ فَضَلَّ سُرْبَهَا
ظِلُّ الْمَسَاءِ بِوَحْشَةِ الْفَلَوَاتِ
جَثَمَتْ عَلَى الْكُشْبَانِ تَنْتَظِرُ السَّنَا
وَأَتَى الصَّبَاحُ فَهَجَّنَ مُنْتَعَشَاتِ

حَتَّى إِذَا وَافَى الْحَفِيرَ كَأَنَّهُ
 وَحَى السَّمَاءِ مُبَلِّجِ الْآيَاتِ
 كَادَتْ عِظَامُ الْهَالِكِينَ تَخْشَعُ
 لِجَلَالِهِ تَصْطَفُ فِي الطَّرِيقَاتِ
 وَتَعُودُهَا الْأَرْوَاحُ مِنْ فَرَحٍ بِهِ
 وَتَظِلُّ حَتَّى الْبَعْتِ مُبْتَهِجَاتِ
 مَنْ مِثْلَ هَذَا الْحَيِّ؟ كَرَّمَ مَوْتَهُ
 مَنْ سَائِرِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ !
 وَهُنَاكَ تَحْتَ الْغَابِ يَعْرِفُ شَاعِرٌ
 بِقَصِيدَةِ مَكْرُوبَةٍ الْآيَاتِ
 أَشْجَى بِهَا الشَّهْدَاءَ بَيْنَ قُبُورِهِمْ
 وَأَثَارَ شَجْوِ اللَّيْلِ فِي الْغَابَاتِ
 وَشِدَاءَ فَكَادَ الْغَابُ يُسْجِدُ نَشْوَةً
 وَيَرْتَلُّ الْأَشْعَارَ فِي السَّجَدَاتِ
 لَمَّا أَذَاعَ شُجُونَهَا فِي لَيْلَةٍ
 سَوْدَاءَ كَالْأَمْوَاجِ مُصْطَخِبَاتِ

وَبَدَتْ لَهُ رُوحٌ تَفِيضٌ حَمَاسَةٌ
وَمَضَتْ تُلُومُهُ بِكُلِّ ثَبَاتٍ :
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَجَّ فِي نَعْمِ الْأَسَى
وَفَوَاجِعِ الْأَحْلَامِ وَالصَّبَوَاتِ ؟
حَطَّمُ (رَبَابَتِكَ) الَّتِي تَشْدُو بِهَا
وَأَدْفِنُ تَشِيدَ الْهَمِّ وَالْحَسَرَاتِ
وَأَصْدَحُ لَنَا بِقَصِيدَةٍ وَطَنِيَّةٍ
تَدْعُ الشَّهِيدَ مُسَعَّرَ النَفْسَاتِ
أَسْمِعْهُ قِصَّتَهُ . . فَإِنَّ حَدِيثَهَا
سَمَرُ الزَّمَانِ بِهِذِهِ الْخُلُوتِ !

فَانْسَابَ وَحْيِ الشَّعْرِ مِنْ أَوْتَارِهِ
كَجَدَاوِلٍ فِي الْحَقْلِ مِنْسَكِبَاتِ
وَوَغْدًا يُغْنِي فِي الْحَمَى : يَا جَنَّةَ
فَجَّرْتُ بَيْنَ ظِلَالِهَا نَعْمَاتِي !

النَّيْلُ فِيهَا قِصَّةٌ أَبَدِيَّةٌ
وَالطَّيْرُ قَارِيهَا عَلَى الْعَذَابِ
وَالنَّحْلُ فِيهَا ذَاكِرٌ مُسْتَرَسِلٌ
هَيْمَانُ مَسْجُورٌ عَلَى الْوَرَقَاتِ
وَالنَّخْلُ فِي صَمْتِ الرِّيحِ كَأَنَّهُ
نُسَّاكٌ فَجَرُ آذَنُوا لِصَلَاةِ
وَالشَّاعِرُونَ كَأَنَّ مَسَّةَ جَنَّةٍ
خَبَلَتْهُمْ مِنْ رَوْعَةِ الْخَطَرَاتِ
تَلْقَى أَنَامِلَهُمْ إِذَا جَاسُوا بِهَا
مِنْ زَحْمَةِ الْأَلْهَامِ مُرْتَعِشَاتٍ !
كُنَّا نَسِيرُ بِهَا وَلَا حُسْنَ ! وَلَا
فَتَنَ ! سَوَى الْأَغْلَالِ مُحْتَدِمَاتِ
نُسْقَى بِهَا الْبَلَوَى ، وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا
مَنْ نِيلَهَا بِالْأَكْوُسِ الشَّبِمَاتِ
وَالْقَيْدُ يَسْبِقُنَا إِذَا رُمْنَا بِهِ
فَتَسْكَ . . فَيُرْهَقُ عِزَّةَ الْخَطُواتِ

وإذا بأرواح الشباب تطلُّ من
خَلالِ الأسي والنُّلِّ مُنْفَطِرَاتِ
حَتَّى أَتَى يَوْمُ الْفِدَاءِ فَزُلْزِلَتْ
غَضَبًا وَرَاحَتْ فِيهِ مُشْتَعِلَاتِ
لَبِسَتْ دُرُوعَ النَّارِ ثُمَّ تَقَدَّمَتْ
لِسِلَاسِلِ الْفُؤَادِ مُضْطَرِمَاتِ
نَسَفَتْ صَفَائِحَهَا ، وَأَفْنَتْ ذَرَّهَا
وَتَهَافَّتْ فِي التُّرْبِ مُبْتَسِمَاتِ
رَشَفَتْ رَحِيقَ الْخُلْدِ قَبْلَ مَمَاتِهَا
وَتَهَيَّاتُ لِحِمَاهُ مُنْتَشِيَاتِ
فَوَقَفْتُ أُبْعَثُ ذِكْرَهَا عِلَاحِي
فَشَدَّتْ مُرْفَرَفَةً عَلَى أَيْتَاقِي :
يَا شَاعِرًا غَنَّى فَكَادَ نَشِيدُهُ
يَهْتَزُّ فِي الْأَكْفَانِ مِنْهُ رُفَاتِي
هَذَا خِيَالُ الْخَالِدِينَ فَغَنِّ
وَأَعِدْ بِشِعْرِكَ لِلشَّبَابِ حَيَاتِي !



سائر الخلود

« ألفت أمام النصب الرخامي التذكاري
لأحد شهداء الوطنية في ثورة ١٩٣٥ م »

مِنْ دَمِكَ الْغَالِي قَبَسْتُ النَشِيدَ
إِنْ لَمْ تَكُنْ وَحْيًا لَشِعْرِي، فَمَنْ
لَفْظٌ إِذَا مَا رَنَّ فِي مَسْمَعٍ
يَحْسَبُهُ الْقَيْدُ إِذَا مَا عَلَا
فِيذَعُرُ الْفَوْلَادُ مِنْ هَوَاهُ
أَعْزَلُ! لَا سَيْفٌ، وَلَا خَنْجَرٌ
حُرٌّ... رَأَى الْأَوْطَانَ مَغْلُولَةً
وَالنَّيْلَ... رَغَمَ الْكُوْثَرِ الْمَشْتَهَى
أَضْحَى لَظْمًا أَنْ الْحُمَى عُلِقَ مَآ
وَالْجَنَّةَ الْفَيْحَاءَ فِي شَطَاهُ
يَا رَاقِدًا تَحْتَ ظِلَالِ الْخُلُودِ
بُوحِي نَشِيدَ النَّيْلِ غَيْرُ الشَّهِيدِ؟
خَفَّتْ بِهِ الدُّنْيَا، وَطَارَ الْوُجُودُ
فِي شَفَةِ الْهَتَّافِ زَارِ الْأَسْوَدِ
وَيُحْطَمُ الْغُلُّ، وَتَبْلَى الْقِيُودُ
لَكِنَّهُ بِالرُّوحِ فَلَّ الْحَدِيدَ !!
تُسْقَى مِنَ الْغَاصِبِ ذَلَّ الْعَبِيدِ
مِنْ مَائِهِ السَّلْسَالُ فَوْقَ الصَّعِيدِ؛
مُرًّا... وَلِلْعَادِي شَهَى الْوُرُودِ.
كَادَتْ مِنَ التَّسَالِ حَزَنَاتُ بَيْدِ

نقولُ : يا غارسُ ! مالى أرى
عطري على أنملها فائح
والظلل للعادي مهادُ الهوى
قد فزعوا طيري بأعشاشه
حيران ! لا عَشَّ، ولا أَيْكَة
وزاحموا النيل فشادوا له
في كلِّ شَيْءٍ لهم مَطْمَحُ
لو أشعلوا النار ولم يُسْعَفُوا
يامن رأى «مصر» تُعاني الضنى
ضيفُ أتاها زائراً في المسا
وأسفر الصُّبحُ على نَحْسِها
وأصبح الضيفُ بها سَيِّداً
وإذ بروحٍ من بَنِيها سَرى
حرٌّ رأى الأغلال موثوقةً
فهبَّ كالإعصار في صرخة
براحةٍ عزلاءٍ لكنَّها

زهري بكفٍّ لم تهبَّ إلى الجُهودِ
والشَّوكُ في جنبيك يفرى السكود
وأنت لَهْفَانُ بحر النُّجود !
فطار في الأدغال مثل الشريد
والقوم هانون بغض المهود !
من زحمة الأجسام شرَّ السدود !
ولو عةٌ كبرى، ووَجْدٌ شديد
بالخطبِ الداوي فنحن الوَقود !
في قبضة الغرب العتيِّ العنيد ؟
فطنَّبَ الخِيَمَاتِ عند الخُدود
فطاح ميثاقٌ، وخينت عهد
وسائرُ الأحياء فيها عبيد !
مطهر القلب كروح الوليد
أحكمها في الطوق ضيف جُود
تهزَّم في الوادي هزيم الرُّعود
ترُوعُ بالحق جنان الحسود

نَاعِمَةٌ .. هاجتْ لِقَيْدِ الْحَمِي
وَقَالَ - وَالْمَوْتُ عَلَى كَفِّهِ - :
وخرَّ في الأرض على وجهه
شُعَاعَةٌ لِلْحَقِّ مِنْ جَفْنِهِ
وَحَفَقَةٌ مَاتَتْ عَلَى ثَغْرِهِ
أَنْشُودَةٌ عَلَوِيَّةٌ أَصْبَحَتْ
تُنَاغِمُ الْأَطْيَارَ مِنْ قَبْرِهِ
يَصِيحُ .. وَالِدَمِ عَلَى جَسْمِهِ
يَا مَصْرُ لَا تَبْكِي عَلَى مَصْرَعِي
مَا سَأَلْتَنِي فِي التُّرْبِ يَا أُمَّتِي
لَنْ يَسْتَرِيحَ الْعَظْمُ فِي حُفْرَتِي
إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ ضَحَايَا الْمُنَى
إِمَّا حَيَاةً حَرَّةً فِي الْحَمَى
رُوحِي عَلَيْكُمْ أَبَدًا حَائِمٌ
لَا تَخْدَعُونِي فِي حَفَاوَاتِكُمْ
فَالْمَجْدُ أَنْ تَلْقُوا بَارِئًا حَكَمٌ
وَتَحْطُمُوا الْقَيْدَ بِهَا .. إِنِّي

شَدِيدَةُ الْبَأْسِ كَصَخْرٍ صَلَوْدُ
لَا تَفْزَعِي يَا مِصْرُ .. إِنِّي شَهِيدُ !
قَدَاسَةُ التَّقْوَى ، وَطُهُرُ السَّجُودِ
تَبْقَى مَنَارًا هَادِيًا لِلْوُجُودِ
كَادَتْ لَهَا شَمُّ الرِّوَاثِي تَمِيدُ
فِي عَالَمِ الْأَلْحَانِ لَحْنًا جَدِيدُ
فِي سَاحَةِ الْمَوْتِ بِالْحَنِّ بَعِيدُ !
غِلَالَةٌ تُزْرِي بِضَافِي الْبُرُودِ !
يَوْمًا .. فَإِنِّي سَائِرٌ لِلْخُلُودِ !
رَخَامَةٌ تَزْهِي ، وَقَبْرٌ مَشِيدُ
وَتَنْعَمَ الرُّوحُ بِعَيْشٍ رَغِيدُ
وَسِرْتُمْ خَلْفَ رِكَابِي وَقُودُ
أَوْ فَازَحُوا الْأَرْمَاسَ حَوْلِي رُقُودُ
يَرْقُبُ لِلْأَوْطَانِ بَذْلَ الْجُودِ
بِرَوْنَقِ اللَّفْظِ وَسِحْرِ الْقَصِيدِ
لَا تَرْهَبُوا - فِي النَّارِ هَوْلَ الْوَعِيدِ
أَسْمَعُ فِي الْأَكْفَانِ جَرَسَ الْحَدِيدِ

١٩ نوفمبر ١٩٣٥

«ألقيت على قبر (الجراحى) شهيد ثورة سنة

١٩٣٥ ليلة الاحتفال بدفنه يوم ١٩ نوفمبر»

مضر ظمأى وذلك الدَّم رىُّ

لصداها ... فلا تنوحوا عليه !

كم سقمتنا من سلسل النيل خمراً

لم تفض كأسها سوى شفتيه

مالنا نرخص الدموع إذا ما

سُفكت قطرة على شاطئيه ؟

وهو أحرى بأن نسوق الضحايا

حاشدات تزف لهفى إليه !

صرختُ (مصرُ) للظلم.. ولكن
غَلَفَ الظُّلْمُ جَهْرَةً أَذِنِيهِ
تَحَذَّ النَّارَ وَالرَّصَاصَ جَوَابًا
لِلَّذِي يَشْتَكِي إِسَارًا لَدَيْهِ
وَلَوَى جِيدَهُ عَنِ الثَّائِرِ الْحُرِّ —
وَشَدَّ الْأَغْلَالَ فِي سَاعِدَيْهِ
وَأَعَارَ الدَّمَاءَ نَظْرَةَ ذَنْبٍ
يَقْطُرُ اللَّوْمُ مِنْ سَنَا عَيْنِيهِ
فَلْتَمُرْ ثَوْرَةَ الْأُنَى ! وَنُلْقَى
كُلَّ يَوْمٍ ضَحِيَّةً فِي يَدَيْهِ !
عَلَّ طَهَرَ الدَّمَاءَ يُلْهِمَهُ الطَّهَرُ —
وَيَمْحُو الْأَرْجَاسَ مِنْ جَانِبَيْهِ !



من وصي النضال القومي !

« يَوْمَ الْبَطُولَةِ لَا يَغِيبُ الْمَلِكُ !! »

« أُلْقِيتَ فِي فَنَدَقٍ » سَان
سَتَفَانُو « بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ مَسَاءَ الْيَوْمِ
الْسادس من سبتمبر سنة ١٩٣٨ م .
في الاحتفال الذي أقيم به تكريماً
لحضرة صاحب المقام الرفيع محمد
محمود باشا رئيس الوزارة المصرية
عقب عودته من أوروبا صيف هذا العام »

لَا السِّيفُ أَبْلَغُهُ الضِّفَافُ ، وَلَا الدَّمُ

نَصْرُهُ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ مُحَوِّمٌ !
تَحْدُوهُ مِنْ عَرْشِ الْمَلِكِ غَمَامَةٌ
نُورُ الْجَلَالِ بِظِلِّهَا يَتَبَسَّمُ
سِحْرِيَّةُ الْأَضْوَاءِ . « فَارُوقِيَّةٌ »
كَادَتْ تَقْبَلُ صَفْحَتَيْهَا الْأَنْجَمُ
يَمِضَاهُ تَهْتَزُّ الْبَشَائِرُ حَوْلَهَا
كَالرَّوْضِ بَاكِرُهُ السَّحَابُ الْمُرْهُمُ
خَطَرَتْ عَلَيْكَ كَأَنَّهَا قَبَسُ الْهُدَى

وَكَأَنَّ قَلْبِكَ مِنْ سَنَاهَا مُلْهِمٌ
فَطَلَعْتَ لِلْمَيْدَانِ رَكْبَكَ هَادِيً
وَحُطَّالُكَ وَادِعَةً ، وَسِرْكُ مَبْهِمٌ
وَنَهَضْتَ « لِلتَّامِيزِ » لَاهِرَجٌ ، وَلَا
كَيْفُ تَرْوِجُ لِلْجِهَادِ ، وَلَا فَمٌ !

وَرَجَعْتَ لِلْوَادِي كَأَنَّكَ فَاتِحٌ
 فِي مَوْكِبِ أَشْجَى وَقَارِكَ هَوْلُهُ
 النَّيْلُ يُهَزِّجُ فِي الشَّطْطِ وَطْلُ بَشَرِهِ
 وَالنَّاسُ أَفْوَاجٌ يُعِيلُ بِهَا الْهَوَى
 كَحَجَّيْجِ (مَكَّة) هَلَلُوا وَتَوَا كَبُوا
 «إِسْكَندَرِيَّةُ» هَذِهِ أَعْلَامُهَا
 سَفَرْتَ لَكَ الْمِينَاءُ حِينَ وَصَلْتَهَا
 وَاهْتَزَّ أَهْلُهَا وَحَالَ مَصِيفُهَا
 (فَرْعُونُ) عَلَّمَهَا التَّبَرُّجُ لِلْعُلَا
 لِكُنْهَارٍ يَعْتَلِنُ نَصْرُكَ فَانْجَلَّتْ
 وَغَدَا بِهَا صَبُّ الْبُطُولَةِ هَاتِفًا
 لَيْلُ السِّيَاسَةِ قَدْ صَدَعَتْ ظِلَامُهُ
 فِي هَدَاةٍ يَغْلِي الْجِهَادُ بِصَمْتِهَا
 وَتَقُولُ عَزْمُكَ الْقَوِيَّةُ لِلْحِجَا:
 أَقْدَمُ! فَلَبِيتَ الْعَزِيمَةَ، حِينَمَا
 حَتَّى أَتَاكَ - وَقَدْ سَتَّ خَطَوَاتُهُ -

بِالنَّصْرِ سَاحَتُهُ تَضِجُ وَتُرْزَمُ
 وَشَجَى هَدْوُكَ جَرَسُهُ الْمُتَهَزِّمُ
 وَالْبَحْرُ مِنْ طَرَبِ الْقَاءِ يَدْمَدِمُ
 وَيَسُوقُ لُجَّتَهَا الْجَنَانُ الْمَغْرَمُ
 وَكَمَا أُخِيلُ: فِي رِكَابِكَ (زَمْزَمُ)
 وَقِبَابِهَا هَرَعْتُ إِلَيْكَ تَسْلِمُ
 وَمِنْ الدِّيَارِ حَفَاوَةٌ وَتَبَسُّمُ
 فَجَرًّا يَضُوعُ لَهُ الرَّيِّعُ وَيَنْسِمُ
 وَلَقَدْ يَضُنُّ الْفَاتِنُ الْمُتَحَشِّمُ
 وَغَدَتْ بَظْلُ رِكَابِهِ تَبْرَنُ
 وَالْحَاسِدُ الشَّمَانِي يَنْوَحُ وَيَلْطَمُ!
 بِالرَّأْيِ يَنْقُضُ مَا يَشَاءُ وَيُبْرَمُ
 أَقْدَمْتُ، لَا تَشْكُو وَلَا تَتَبَرَّمُ
 فِي الرَّوْعِ لَا يَهِنُ الْقَوَى الضَّيِّغُ
 وَجْهُ السِّيَاسَةِ عَابِسٌ مُتَجَهِّمُ
 قَبَسٌ مِنَ التَّاجِ الْمَفْدَى مُلْهَمُ!

فمضيت رُبَّانًا تكادُ سفينه^{هُ}
وجنحت الميثاق تكشف غامصاً
عهد.. ولكن في غيار نصوصه
ظلم السياسة فيه من نسي الحمى
فمضيت للأحلاف ، رأيك كو كب

والعزم صاعقة برأيك تقدم
وعلى معالمك الهدوء وتحتة
ونضيت شأنك في الكفاح صراحة
في مثل عمر الطيف ، ذابت غمة
وغنمت لا شرفاً لذكرك ! بل هوى

لسعادة الوادى يئز ويضرم

كانت جراحاً في العهد مسحتها
أقدم فمهلك للمفاخر يقدم
أقدم ! فديتك ! فالبطولة لا ترى
لك صفحة يبيض من حسناتها
ولمصر يرجى من يدك البلسم
وبمثل ماضيك العلا تترسم
إلا وذكرك قبلها يتقدم
في النيل ، ليل الحادثات المعتم

يَتَرَشَّدُ الْغَاوِي لَدَيْهِ وَيُعْصَمُ
أَبَدًا، وَعَمْرُ شَبَابِهَا لَا يَهْرَمُ
كُلُّ الذِّي تَجْنِي لَدَيْهَا مَغْنَمُ
ظَمًا الشَّمْسُوسِ إِلَى الضِّيَاءِ مُحَرَّمُ

قُبُلٌ .. يَكَادُ إِذَا تَرَقَّرَقَ نوره
وَنَزَاهَةٌ .. يَبْلِي الْجَدِيدَ وَيَمْجِي
وَتَوَاضَعُ .. هَذَا «بِعَصْر» دَلِيلُهُ
لَمْ تَجْرِ خَلْفَ الذِّكْرِ! لَمْ تَعْمَلْ لَهُ!

وَعَلِيلُهَا بَيْنَ الشُّعُوبِ جَهَنَّمُ
أَشْجَاكَ مِنْ دَمِهَا الْأَنْبِيَاءُ الْمُضْرَمُ
شَرَفُ الْجِهَادِ لَغِيرِهَا لَا يُقَسَّمُ
وَالشَّعْبُ تَحْتَ ظِلَالِهِ يَتَنَعَّمُ
وَالنَّيْلُ خَفَاقُ الضُّفَافِ مُتِمُّ
وَمَكَانُهُ عَنْهَا أَعَزُّ وَأَكْرَمُ
لِلْمُلْكِ وَالتَّاجِ الْمَفْدَى تَسْلَمُ
يَوْمَ الْبُطُولَةِ لَا يَغِيبُ الْمَلْهَمُ!

بَرَدَتْ لِلْبَلَدِ الْحَرَامِ غَلِيلُهَا
كَرَّمَتْ صِرْخَتَهَا، فَحِينَ سَمِعَتْهَا
فَجَعَلَتْهَا «وَالنَّيْلُ» صُنُوى غَايَةٍ
فَاحْكُمُ فَنُورُ التَّاجِ فَوْقَكَ سَابِغُ
«فَارُوقُ»! وَالْوَادِي يَهِيمُ بِحَبَّةِ
مَلِكٍ عَلَى عَرْشِ الْقُلُوبِ مُقَامُهُ
أَرْوَاحُ أُمَّتِهِ فِدَاءُ خَالِصُ
شِعْرِي تَدْفُقُ بِالنَّشِيدِ لِعَصْرِهِ

الى رفات ملك أيبوبيا (الجبنة) !

مرثية غصن الزيتون

لا زهره يندى ، ولا هو ينفح
ذاو على طرف الصبا متصوح
ريان أميس هدلت أطرافه
هو جاء من نار المطامع تلفح
فرع من الزيتون لم يخفق له
فن ، ولم يسجع عليه صيدح
أنداؤه من حكمة أبدية
صمت فما تلغو ولا تتفصح
وغداؤه من رحمة علوية
يصفو بها طيف هناك مجنح
تخذ السلام قصيدة قدسية
يشدو بها شادي السلام ويصدق

لَو رَنَّ هَاتِفُهَا بِسَمْعِ كَتِيبَةٍ
هَوَّجَاءُ فِي رَهَجِ اللَّظَى تَرَجَّحُ؛
سَجَدَتْ لَهُ الْأَسْيَافُ خَجَلِي رَهْبَةً
وَتَكَفَّاتُ فَوْقَ الثَّرَى تَتَطَوَّحُ

وَيَاسِرُ حَةً بِرُواقِ «جِينِيف» ارْتَوَتْ
مَنْ جَذُولِ بَدَمِ الضَّحَايَا يَنْضَحُ
تَبْعٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ سَلَسَلِ فَيَضَهُ
وَجَرَى عَلَى بَطْحَائِهَا يَتَفَوَّحُ
يَنْسَابُ مِنْ خَلَلِ الْجَمَاجِمِ صَاحِبًا
أُمُوجُهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ تَطْفَحُ ...
مَاذَا دِهَاقٍ فَلَمْ يَدْعُ سَوْسَانَةً
- مِنْ هَوْلِهِ - فِي جَانِبِكَ تُفْتَحُ؟
صَوْتٌ مِنَ الظُّلُمَانِ أَرْوَعُ غَاشِمُ
مُتَحَفِّزٌ بَيْنَ الْوَرَى يَتَبَجَّحُ
خَدَعْتَهُ صَامِتَةً الْقُنَابِلِ حِينَا
ذَهَبَتْ تَهْدَدُ بِالرَّدَى وَتُلَوِّحُ

مَجْنُونَةٌ بِالْمَوْتِ ، جُنَّ حَدِيدُهَا
وَمُرِيدُهَا خَطَرًا يَرُوعُ وَيَفْذَحُ
رَعْنَاءُ لَوْ مَسَّتْ مَطَارِفَ شَاهِقٍ
لَأَنْدَكَّ مِنْ عَالِي الذُّرَا يَتَطَرَّحُ
سَكْرَى بِخَمْرِ الْمَوْتِ تَهْدِي جَهْرَةً
بِمَلَا حِنْ مِنْ كِبَرِهَا تَتَوَقَّحُ
خَرَسَاءُ لَوْ نَطَقَتْ أَصَمَّ ضَجِيجُهَا
أُذُنَ الْحَيَاةِ ، فَلَا تَعَى مَا تُفْصِحُ
حُبْلَى بِنَسْلِ النَّارِ ، يَا وَيْلَاهُ ! إِنْ
وَلَدَتْ فَحَتَفَ لِلْبَرِيَّةِ يَكْسَحُ
كَمْ أَفْزَعَتْ «عَزْرِيلَ» حِينَ تَبَرَّجَتْ
تَلْهَوُ عَلَى جُمُثِ الْعِبَادِ وَتَمَرَّحُ

سَلِّ أُمَّةَ الْأَحْبَاشِ.. كَيْفَ تَفَزَّعَتْ
وَعَدَتْ عَلَى قُضْبِ الْقَنَا تَتَرَنَّمُ

لم تُغْنِهَا الْأَجْبَالُ تَعَصُّمُ هَارِبًا
 أَوْ شَاكِيًا تَحْتَ الْمَغَافِرِ يَرْزَحُ
 خِيَمَاتُهَا فِي الْحَرْبِ لَوْ أَبْصَرْتَهَا
 شُعْلًا عَلَى كَنْفِ الْهَوَاضِبِ تَلْمَحُ
 هِيَ أَلْسَنٌ لِلْحَقِّ ذَاعَ بَيَانُهَا
 ضَرَمًا عَنِ الْوَجْدِ الْمَكْتَمِ يُفْصَحُ
 يَارُبُّ مُسَوِّدَ الْجَبِينِ بَظَاهَا
 قَسَمَاتُهُ عِنْدَ الْوَعَى تَتَوَضَّحُ
 يَصْلِيهِ إِيمَانُ الْعِزَائِمِ بِاللَّظَى
 فَيُظِلُّ مِنْ قَبَسَاتِهِ يَتَرَوَّحُ
 يَلْقَى الطُّغَاةَ بِعِزْمَةٍ لَوْ صَادَفَتْ
 قَلْبَ الْحَدِيدِ خَرَّ بِالْدَّمِ يَرْشَحُ ١

يَا فَارِسَ الرُّومِ الْغَنِيْدَ تَحِيَّةً
 مِنْ شَاعِرٍ بِاللُّوْمِ جَاءَكَ يَصْدَحُ

أَنعامُهُ في النيل ضيَّعها الأسي
وهي التي بهوى البلاد تُسبِّحُ
عُذْرِيَّةٌ تَشْدُو ، فَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
يَأْسُو يُرَاوِغُهَا الشَّمَاتُ فَيَجْرَحُ
صَرَخَتْ عَلَى حُرِيَّةٍ مَسْلُوبَةٍ
شُعْرَاوُهَا فِي كُلِّ فَجٍّ نُوحٌ ...
ما ضَرَّ لو أَهْمَلْتَ طَائِشَةَ الْوَعَى
قَوْمًا تَغَادَوَا بِالشَّكَاةِ وَرَوَّحُوا؟
أَوْطَانِهِمْ ! يَا رَحْمَتَا لِمَصِيرِهَا !
أَمَلٌ لِسُفَّاكِ الطُّغَاةِ وَمَطْمَحُ
فَزِعُوا مِنَ الْغَازَاتِ تَخْنُقُ جَوْهَ
فَيَضُوعُ بِالْمَوْتِ الْأَصَمِّ وَيَنْفَحُ !
اللَّهُ طَهَّرَهُ هَوَاءٌ طَيِّبًا
كَالرُّوضِ ضَمْنَهُ الْعَبِيرُ الْأَفِيحُ
وَابْنُ الثَّرَابِ . . أَحَالَهُ مَسْمُومَةً
نَكْبَاءَ ذَارِيَّةٍ تُبِيدُ وَتَقْدَحُ !

يا أغاني السماء !!

« هزج غنائى قام بتلحينه وإنشاده
الأستاذ محمد عبد الوهاب ليلة ميلاد
صاحبة السمو الملكى الأميرة « فريال »
وأذيع بلحن جديد للأستاذ السنباطى
أنشدته الآنسة أم كلثوم فى مهرجان
الأميرة ، الذى أعدته محطة الاذاعة
الاسلكية فى دار الاوبرا الملكية مساء
٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٣٨ م . »

يا أغاني السماء هاتى من الخلد — د لياليك . وارقصى يا أغاني !
أطربى التاج والمليك وغننى
فى سماء الحمى تبدى شعاع
نوره أسعد الحياة بدنيا
نفصى النيل بالبشائر يجرى
طيره فى الربى تغنى ، وراحت
واقامت عرائس الزهر عيداً
بنت من طار للنجوم بوادي — ه فحياً جلاله الفرقدان !
أنت بشرى لعالم الشرق فاضت
أنجبت نورك الشمس العوالى
عشت للنيل والبلاد بعز
شعب مصر بأعذب الألحان
ظلمته عناية الرحمن
من صفاء وفرحة وأمانى
فى حمى مصر زاخراً بالحنان
تنأجى حائم الأغصان
ما رأت مثله عيون الزمان !
من يديها سعادة الأوطان
وتغنى بيومك الهرمان
تحت عرش الملك ضافى الأمان

في وادي النسيان

« أنشدت في مهرجان ذكرى »

شاعر النيل حافظ ابراهيم »

جَدَّتْ بِمَدْرَجَةِ الرِّيحِ مُعْفَرٌ
 الْيَوْمُ صَيْفُ ثَرَابِهِ وَالْقَبْرِ
 ذَاوِي الرُّسُومِ مِنَ الْبَلَى فِكَانَهُ
 أَثَرُ النَّالِ مَشَتْ عَلَيْهِ الْأَعْصُرُ
 أَوْ خَطُّ رَمَلٍ أَنْشَأَتْهُ بِنَاةٌ
 «السَّطِيحُ» (١) مِنْ مَاضِي الدُّهُورِ مُسَطَّرٌ
 أَوْ حِكْمَةٌ مَرْقُومَةٌ فِي مَعْبَدٍ
 مُتَهَدِّمٍ شَابَتْ عَلَيْهِ الْأُسْطُرُ
 أَوْ نَقْشَةٌ فِي حَانَةِ مَهْجُورَةٍ
 أَلْجَامُ صَفَّاحٍ بِهَا مُتَبَعِرٌ
 عَبَرَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ كَاسِفَةَ الْخُطَا
 مَوْهُونَةً فَوْقَ الثَّرَى تَتَعَثَّرُ

(١) كاهن عبقرى نبه صيته في العصور القديمة في جزيرة العرب .

والليلُ أطرقَ واجمأً فكأنَّه الزُّ
نَجِيٌّ في حَلَكِ الأثيرِ يُفَكِّرُ
والنَّجْمُ يَخْفُقُ رَحْمَةً فَيَخَالُهُ
عيناً من الغَيْبِ الْمُسْتَرِّ تَنْظُرُ
والنَّيْلُ حينَ جَرَى بِجَانِبِهِ سَرَتْ
في مَوْجِهِ الْبَلَوَى وَكَادَ يَزْجِرُ
وَالْعَبْقَرِيَّةُ أَعْوَلَتْ مَشْدَوَهَةً
شَكَلَى تَفَجَّعَ صَوْبُهُ وَتَحَسَّرُ
قَالَتْ — وَقَدْ شَهِدَتْهُ مِنْبُودَ الْحُمَى
وَحَفِيرَهُ فِي الْيَسَدِ أَشَامُ أَغْبَرُ
وَالسَّافِيَاتُ شَدَدْنَ مِنْ أَوْصَالِهِ
قَصَبًا تَزْفُ بِجَانِبِيهِ فَيَصْفَرُ ،
وَنَشَرْنَ مِنْ أَكْفَانِهِ رَغَمَ الْبَلَى
طَارَأَ عَلَيْهِ يَدُ النَّسِيمِ تُنْقَرُ ،
وَهَزَجْنَ وَالْبُؤْسُ الْمَخْلَدُ مَائِلُ
كَالْأَمْسِ فِي حَرَمِ الرَّدَى يَتَبَخَّرُ ،

وَأَقْمَنَ عَرْسًا مَاجَ فَوْقَ تُرَابِهِ
 يَلْهُو بِهِ جَنَّ الْفَلَاقِ وَيَسْمُرُ : —
 يَا قَبْرُ ! لِي تَحْتَ الصَّفَائِحِ شَاعِرُ
 تَارِيخِهِ مِنْ نَحْسِهِ مَتَفَجِّرُ
 عَبَرِ الْحَيَاةَ فَمَا صَغَتْ لِنَشِيدِهِ
 أُذُنٌ ، وَلَا وَاسْتَهُ عَيْنٌ يُبْصِرُ
 فَكُنَّا أَلْحَانَهُ تَأْوِيَةً
 فِي اللَّيْلِ رَدَّدَهَا شَجَرٌ مَتَحِيرُ
 أَوْ دَمْعَةٌ مَخْنُوقَةٌ . . وَقَفَتْ عَلَى
 شَطِّ الْجَفُونِ سَجِينَةً لَا تَعْبُرُ
 أَوْ دَعْوَةٌ مَحْبُوبَةٌ فِي مَهْجَةٍ
 جَلَّى هَدَايَا فِي الدُّجَى مُسْتَغْفِرُ
 أَوْ هَمْسَةٌ فِي الْغَابِ تَأْمَهُ الصَّدَى
 أَبْلَى نَفَاقَتِهَا الظَّلَامُ الْمُصْحِرُ
 دُنْيَا مِنْ النَّسِيَانِ أُلْقَى مَهْدُهُ
 فِيهَا ! وَسُوءَى لَحْدُهُ الْمُتَهَجِّرُ !!

ونصيبه بعدَ الفناء . . مصفّقٌ

يهذى لراثٍ في المنايرِ يهترِ
ومهلّلونَ لشاعرٍ مُترنّمٍ

يلغو بأسجاعِ البيانِ ويهذرُ !
يا قبرُ . . هُدّ بناك عن جنباتِهِ !

مَنْ قال نسلُ العبقريّةِ يقبرُ ؟
فاهتزَّ مُرتاعاً ، وغمغمَ جاثياً

ومضى يهلّلُ نحوّها ويكبّرُ :
لا تجزعي ! فهنا الخلودُ وسرهُ

خافَ على كلِّ العقولِ مسرّاً
لاتحسبي قُبُوبَ الرُخامِ أظلمها

بالسّروِ رِيَّانُ الفُروعِ منصرّاً
نفضتْ بساحتها العِطارُ جيورها

فالمسكُ يسطعُ تحتها والعنبرُ
وأحالتها فنُّ المصوّرِ آيةً

سرتُ الحياةُ بها فكادتْ تطفّرُ

وَمَضَتْ بِهَا التَّيْجَانُ تَلْمَعُ فِي الدُّجَى
(كَسْرَى) نَزِيلَ رَحَابِهَا أَوْ (قَيْصَرُ)؛
أَزْكَى ثَرَى مِنْ حُفْرَةِ مَطْمُوسَةٍ
دَفَنْتُ بِهَا مَيْتًا لَدَيْهَا عَبَقْرُ
تُذَرَى وَيُذَرَى الْعِظَمُ فِي هَبَوَاتِهَا
وَالْخُلْدُ مِنْ ذَرِّ التَّرَابِ مَنْوَرُ!
هَذَا . رَيْدِيكَ أَعْظَمُ مَنْسِيَّةً
رَجَفَتْ لَهَا فِي الْخَافَقَيْنِ الْأَذْهَرُ
فِي مَهْرَجَانِ الْخَالِدِينَ ، حَدِيثُهُ
نَعْمٌ عَلَى شَفَةِ الْخُلُودِ مِعْطَرُ
حَشَدَتْ لَهُ الْأَهْرَامُ ذَكَرًا لَوْعَدَا
فِيهَا الْبَلَى ، لَصَبَا إِلَيْهِ الْمَحْشَرُ
فِي كُلِّ مَحْرَابٍ ، بِهَا وَبَنِيَّةٌ
شَادٍ يَرْتَلُّ لِحْنَهُ وَيَكْرُرُ
شِعْرُهُ إِذَا مَا الْقَيْدُ صَلَّ حَدِيدُهُ
فِي ظِلِّهَا ، يُضْرَى لَظَاهُ فَيَصْهَرُ

هزَّ الجنوبَ بثورةٍ صخَّابةٍ
يَغْلِي بها صَمْتُ القصيدِ وَيَسْعُرُ
تَسْرَى، فِيرْهَبُهَا الطُّغَاةُ، فَتَنْبَرِي
كالموتِ لَا تُبْطِئُ وَلَا تَتَأَخَّرُ
مَنْ رَاحَ بِنَكَرٍ حَاسِداً أَصْدَاءَهَا..
هَذَا دَمُ الشَّهْدَاءِ مِنْهَا يَقْطُرُ !
فِي « دِنْشَوَايَ » لِهَارَنِي خَالِدٌ
زَعَجَ الزَّمَانُ دَوِيَّهُ الْمَتَسَعِّرُ
سَجَدَتْ لَصَرْخَتِهِ الْمَشَانِقُ رَهْبَةً
وَارْتَاعَ مِنْ خَفَقَانِهَا الْمَتَجَبِّرُ
وَأَنَامِلُ الْجَلَادِ دَوْدَتْ — رَحْمَةً —
لَوْ كَلَّ أَنْمَلَةٌ عَلَيْهَا خَنْجَرُ
تَرْتَدُّ فِي عُنُقِ الذِّى يَهْوِي بِهَا
قَدَرًا يَذُودُ عَنِ الْبَرِيءِ وَيُثَارُ
تَحِذُوا الْحَمَامَ إِلَى الْحَمَامِ وَسِيلَةً
شُهْنَاءَ، وَاهْتَاكُوا هُنَاكَ وَزَمَجَرُوا

نَصَبُوا مِشَانِقَهُمْ لَنَا . . فكَأَنَّا
قُطْعَانُ شَاءٍ فِي الْمَجَازِ تَنْحَرُ
وَلَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ لَصَاحَتْ فِي الْوَرَى:
كَيْدٌ (لِمَصْرَ) ، وَحَوْبَةٌ لَا تُغْفَرُ
إِنْ كَانَ بِطُشُّهُمْ تَكْبَرٌ عَاتِيًا . .
فَاللَّهُ وَالْوَطَنُ الْمَفْدَى أَكْبَرُ !
قَمَّ عَاشِقُ النِّيلِ !! اسْتَفِيقْ . فَصَبَّاحُهُ
حَيْرَانُ فِي الشَّطِّينِ أَغْنَى أَصْفَرُ
صَدْيَانُ ؟ مَا نَقَعَ النَّدَى لَعَلِيلَهُ
شَوْقًا ، وَلَا رَوَاهُ مَوْجٌ يَزْخَرُ
لَهْفَانُ ! يَنْتَظِرُ الَّذِي غَنَّى لَهُ
وَيَصِيحُ فِي نَوْرِ الْحُمَيْلِ وَيَزَارُ :
أَيْنَ النَّدَى وَالسَّلْسَلُ الْمَسْكُوبُ مِنْ
نَعَمٍ صَدَاهُ بَلَا أَثَامٍ يُسْكِرُ ؟
أَيْنَ الْبِلَابِلُ فِي الضَّحَى مَسْحُورَةٌ
بِالشَّدْوِ ، أَنْطَقَهَا الرَّبِيعُ الْمُزْهَرُ ،

مِنْ شَاعِرٍ نَهَبَ الضُّحَى .. وَأَذَاعَهُ
لَحْنًا يَفْرَدُ فِي الرَّبِّي وَيَصْفَرُ
مَاشِدًا أَوْتَارًا لَهُ أَوْ أَرْغُنًا
بَلْ كَانَ شَطَطِي فِي يَدَيْهِ الْمَرْهَرُ !
وَلَهُ بِمَضِرٍ ! وَهَزَّةٌ فِي قَلْبِهِ
بَغْرَامَهَا كَاللُّجِّ رَاحَتِ تَهْدِرُ
وَهَوَى أَحَالَ الشَّرْقَ قَلْبًا ثَانِيًا
فِي صَدْرِهِ ، بِأَسَى النِّوَازِلِ يَشْعُرُ ..
سَلْ « غَادَةَ الْيَابَانِ » كَيْفَ أَهَاجَهَا
فِي الرَّوْعِ عَنْ ضَافِي الشَّيَابِ تُشَمِّرُ ؟
تَمْضَى بِمُشْتَعِلِ السَّنَانِ فَإِنْ قَسَا ،
تَأْسُو جَرَاحَاتِ السَّنَانِ وَتَجْبُرُ !
وَاسْمَعْ نَشِيدَ (الْأَرْزِ) فِي (لُبْنَانِهِ)
« بَرْدَى » يَكَادُ بِسِحْرِهِ يَتَخَدَّرُ
وَالْحُورُ مُتَتَفِضُ الْغَدَائِرِ ، رَاقِصٌ
نَشْوَانٌ مِنْ رَجْعِ الْغِنَاءِ مُطِيرٌ

شادٍ بأظلال «الجزيرة» ساجلت
 ألحانه تحت الصنوبر «دُمُر»
 أسرى إلى الدنيا الجديدة صوته
 فاهتز من طرب لدينها المهجر
 وأسَى النزِيلَ بها ، فكاد غريها
 يُعنيه للوطن الحبيب تذكُّر !
 سل عنه في يوم «الإمام» خريده^(١)
 وضح الهدى من صفحتها مسفر
 فزعت إلى القبر الطهور... وقلبها
 جزعاً عليه من المهاجر يقطر
 بالأمس علمها التصبر في الأسى
 وطحت بها البلوى.. فكيف تصبر؟
 هتفت به : يا موقظ الإسلام قم !
 فالشرق بعدك واهن متعثر

(١) إيماء إلى تائيته المشهورة في فقيه الإسلام الامام (محمد عبده)

كَادَتْ مَا ذُنُهُ تَمِيدُ قَبَابِهَا !
 وَأَذَانُهَا يَرْتِي ! وَيَهْوِي الْمَنِيرُ !
 يَا وَمُضَّةً مِنْ «كامل» ^(١) قَدْ أَشْرَقَتْ
 فَيَضًا مِنَ النَّعْشِ الطَّهَوْرِ يُحَدَّرُ
 هَاجَتْ عَلَى أَوْتَارِ شَاعِرِهِ لَظَى
 مَتَخَشَعًا يَخْفَى اللَّهْيَبِ وَيَسْتَرُ
 تَذَكُّو، فَيَرْهَبُهَا الْجَلَالُ، فَتَسْتَحْيِ
 فَتَدُسُّ أَنْفَاسَ الضَّرَامِ وَتُضْمِرُ
 الشُّعْلَةَ الْأُولَى بِوَادٍ مُظْلِمٍ
 هَالَاتِهَا مِنْ أَصْغَرِيهِ تَنُورُ
 قَلْبٌ كَانَ النَّيْلَ أَرْضَعَهُ النَّدَى
 فِي الْمَهْدِ، قُدْسِي الشِّفَافِ مَطْهَرُ
 فَإِذَا يَحْنُ لِمَصْرِ تَحْسِبُهُ الصَّبَا
 فِي فَجْرِهَا فَوْقَ الْخِمَائِلِ تَخْطُرُ
 وَإِذَا يَشُورُ لَهَا، تَخَالُ مُرُوجَهَا
 غِيلاً يَهِيْجُ عَلَى ثَرَاهِ (الْقَسُورُ)

(١) نبي الوطنية وشهيدها الأول (مصطفى كامل)

مَجْنُونٌ بِالْأُوطَانِ تَحْتَ لِسَانِهِ
 وَجَنَانِهِ نَبْعٌ لَهَا مُتَفَجِّرُ
 إِنَّ الْجُنُونَ بِمِصْرَ أَرَوَعُ حِكْمَةٍ
 يُوجِي بِهَا شَرْعُ الْوَفَاءِ وَيَأْمُرُ
 قُمْ عَاتِبِ الْأُوطَانَ (حَافِظُ) هَاتِفًا
 بهواه... إِنَّ جَنَانَهَا مُتَحَجِّرٌ (١)
 شِعْرٌ إِذَا يَنْسَاهُ شَعْبُكَ جَاهِدًا
 فَالْنَيْلُ فِي يَوْمِ الْفَخَارِ سَيْدُ كَرٍ
 خَيْلَ الْحِزَانِي حِينَ رَنَّ لِبُؤْسِهِمْ
 غُرْبَاءَ بِالْعَوْدِ الْمَفَاجِئِ بُشِّرُوا
 يَأْسُو وَأَجْرَاحُ الزَّمَانِ دَفِينَةٌ
 كَسْرَائِرُ - فِي قَلْبِهِ - لَا تُنْشَرُ
 أَذْكَى أَسَايَ وَلَمْ أَرِ الشَّادِي بِهِ
 لَكِنَّهُ نَسَبُ الْجُحُودِ مَوْصَرٌّ !!

(١) ما زال تمثاله حبيسا... حتى عن نور الوادي الذي استشهد

(مسطفي) في سبيل حريته !!

ثورة الإسلام ... في يده

« جهد التذكر استطاع الشاعر
أن يثبت ما ضاع من ألحان هذه
الفصيدة ... »

خَفَقَ العَرْشُ بالنَّشِيدِ المَطْهَرِ
فَدَعَ الشُّعْرَ والأَغَانِي .. وكَبَّرَ !
وإذا شئتَ نَغْمَةً .. فدَعِ الرُّو -
حَ - جَلالاً - من شُرْفَةِ الغَيْبِ تَنْظُرُ
وتَهَيَّأُ للوَحْيِ يَا تَيْكَ بالشَّعْرِ
- رِ كَسِيكَابِ دِيَمَةٍ تَتَفَجَّرُ
وتَلَفَّتْ لِمَرْبَعِ الجِنِّ فِي البِي -
- دِ تَرِ الجِنِّ غَيْرَةً يَتَفَطَّرُ
وَفَا حَكَ لِلجَاهِدِينَ يَا شَاعِرَ الخَدِ
- دِ أَسَاهُ ! وَصِفْ مَنَاحَةَ (عَبْقَرُ) !

هكذا قال لي صدى ملهم الوحد
حي ، فأصغيت لحظة كالخدر
وانتظرت الإلهام حتى إذا ما
رنّ بي هاتف الخيال المستتر ؛
رجفت في الجنان كالزّرع القصّـ
ساف ، تغلّى بمجانبى وتزأر
من فجاج الغيوب هاجت صباحاً
ثورة في الرمال هبت تزجر
قيل : (بدر) ! فزألت هداة النّـ
ي وكاد النّشيد بالدم يقطر . .
أقبلت كالعجاج في هبوة الحر
ب (قريش) على الحياض تنفر
كلّ ذي سحنة كغاشية اللـ
ل ، وهول يرتاع منه الغضنفر
يتنزّى بسيفه من ضلال
هو أعمى لديه ! والسيف مبصر !

سَلَهُ مِنْ قَرَابِهِ وَهُوَ خَزِيَا -
 نَ لَآئٍ مِنْ الرِّجَالِ يَشَهَّرُ
 لَوْ مَضَى يَسْتَشِيرُهُ سَاعَةَ الرَّؤُ -
 عَ لِرَدَاهِ كَالْحَطَامِ الْمُبَعَثِ
 عَجَبًا لِلْحَدِيدِ يُهْدَى إِلَى الْحُ -
 قِّ ! وَهَادِيهِ كَالضَّرِيرِ الْحَيَّرِ !

حَشَدُوا مَوَكِبَ الْمَنَايَا ! وَخَفُّوا
 لَضِيَاءِ الْإِلَهِ غَاوِينَ فُجَّرُ
 يَتَرَاءَوْنَ كَالصَّوَاعِقِ فِي الرَّمْدِ -
 لِ، وَوَجْهُ الضُّحَى مِنَ الرَّوْعِ أَغْبَرُ
 كَالشَّيَاطِينِ جَلَجَلَتْ فِي دُجَى اللَّيْلِ -

لِ، وَهَاجَتْ فِي الْبَيْدِ تَعْوَى وَتَصْفِرُ

أَرَزَمَتْ فَوْقَهُمْ سَيُوفٌ ! وَرِيَعَتْ
 مِنْ تَنَادِيهِمْ أَضَاةٌ وَمَغْفَرُ

رَزَلُوا رَأْسِي الْجِبَالِ ! وَرَاحَتُ
 مِنْهُمْ الْبَيْدُ تَقْشَعِرُّ وَتُدْعَرُ
 وَمَضَى الشَّرْكُ بَيْنَهُمْ مُزَعَجَ الْهَيْ
 جَةٍ ، طَيْشَانِ كَاللَّظَى الْمَتَسَعِّرِ
 جَمَعَ الْهَوْلَ كَلَّةً فِي يَدَيْهِ
 وَمَضَى بِالْحِمَامِ فِي الْهَوْلِ يَزْفُرُ
 إِنْ يَكُنْ كِبْرُهُ أَجَنُّ الْبَلَايَا
 لِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ . . . فَاللَّهُ أَكْبَرُ !

.....
 سَجَدَ (اللاتُ) ^(١) مُؤْمِنًا! وَجَنَّا (الْعُزَّى)
 (ي) يُنَاجِي (مَنَاة) : يَا صَاحِبَ الْبَشَرِ !
 هَلْ فِي سَاحِنَا وَمِيزَانٍ مِنَ النُّورِ
 رِ غَرِيبُ التَّلَامَاحِ ، خَافِي التَّصَوُّرِ

(١) اللات والعزى ومناة . . . أصنامٌ عبدها كفار (قريش)
 وهذا تصوير لنور الإسلام حينما هلَّ في محاريب عبدة الأصنام
 من المشركين !

ذَرُّهُ أَرْعَدَ الصَّفَا ! وَأَحَالَ الصَّ
 خَرَ رُوحًا يَكَادُ فِي الرَّمْلِ يَخْطُرُ
 لَامِنَ الشَّمْسِ فَيَنْضُهُ فَلَاكُمْ شَعَّ
 تْ عَلَيْنَا فَلَمْ تَرُعْ أَوْ تَبْهَرْ !
 لَا مِنْ النَّجْمِ لِحُهُ .. فَلَاكُمْ لَا
 حَ كَثِيبَ الضِّيَاءِ ! وَهَنَانِ ! أَصْفَرُ !
 قَدْ نَسَخْنَا بِهِ ! وَمَنْ غَابِرَ الدَّهْرِ
 سِرِ نَسَخْنَا الْبِلَى وَلَمْ تَنْغَيِّرْ !
 أَلْهُونَا .. وَعَفَّرُوا - وَهُمُْ الصَّيِّ
 دُ - عَلَاهُمْ عَلَى ثَرَانَا الْمَعْفَرُ
 سِرِّ بِنَا يَا (مَنَاءُ) نَخْشَعُ جَلَالًا
 لِسَنَا النُّورِ . عَلَهُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ !
 عَجَبًا ! ! خَرَّتِ الْحَارِيبُ وَالْأَصْدُ
 سَامُ دَكَا .. وَالْعَبْدُ مَا زَالَ يَكْفُرُ ! !

.....

وعلى التَّلَّ خاشِعٌ في عريشٍ
 قُدْسِيَّ الظلال ! زَاكِ ! مُنَوَّرٌ
 كَادَ مِنْ طَيْبِهِ الْجَزِيدُ الْمُحَيَّ
 مَنْ ذُبُولَ الْبَلِيِّ يَمِيسُ وَيُزْهِرُ
 هَالَةً تَسْكُبُ الْجَلَالَ ، وَتَنْدَى
 بِوَمِيضِ الْهُدَى يُفِيقُ وَيَسْحَرُ
 لَوْ رَمَتْ كَاسِفَ الْبَصِيرَةِ أَعْمَى
 عَادَ مِنْهَا مُبَدِّجُ الْقَلْبِ أَخْوَرُ
 قَسَمًا ! مَا أَرَاهُ إِنْسَاءً ... فَأَنِّي
 أَتَحَدَّى بِهِ بَنَانَ الْمَصَوِّرِ !
 يَاسِطٌ كَفَّهُ إِلَى اللَّهِ . . يَدْعُو :
 رَبِّ ! حُمِّ الْقَضَا لَدِينِكَ . . فَاَنْصُرْ !
 إِنَّ أَجْنَادِيَّ الْبَوَاسِلَ قُلُوبٌ . .
 وَخَمِيسُ الْعَدُوِّ كَالْمَوْجِ يَزْخَرُ . .
 خَفَقَةً مِنْ كَرَرِي تَجَلَّتْ عَلَيْهِ
 مَالٍ مِنْ طُهرها الرِّدَاءُ الْمُحَبَّرُ

وَإِذَا الْوَحْيُ بَارِقٌ مُسْتَهْلٌ
مِنْ سَمَاءِ الْغُيُوبِ هَنَّا وَبَشَرٌ
فَانْتَضَى سَيْفُهُ ! وَهَبَّ عَلَى الْغَا
رَةِ بِالسَّرْمَدِ الْقَوِيَّ مُوزَّرٌ
يَنْفَحُ الْقَوْمَ بِالْحَصَا ، فَتَدَوَّى
أَسْلَاتُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَنَحَرٍ
وَجُنُودُ السَّمَاءِ مِنْ كُلِّ فَبَجٍّ
غَيْبٌ لِلْعَيَانِ ! فِي الْقَلْبِ حُضْرٌ !
تُسْعَلُ النَّارُ فِي قُلُوبِ الْمَذَاكِي
وَتَوْجُّ الرِّجَالُ نَارًا تَسَعَّرُ
قُوَّةٌ مِنْ جَوَانِبِ الْعَرْشِ هَبَّتْ
ذَابَ مِنْ بَأْسِهَا الْحَدِيدُ الْمَشْهُرُ

.....
و (بِلَالٌ) يَلْقَى (أُمَيَّةَ) غَضَبًا —
ن . . . فَيَشْفِي الْغَلِيلَ مِنْهُ وَيَثَارُ

أَمْسِ .. كَمْ حُمِّلَ الصَّخُورَ الذَّوَاكِي
 مِنْ لَهَيْبِ الرَّمْضَاءِ تَغْلِي وَتَسْعَرُ
 ضَجَّ مِنْ هَوْلِهَا الْأَذَانُ ! وَكَادَتْ
 تَتَهَاوَى لَهَا أَوَاسِي الْمَنْبَرِ
 وَهُوَ الْيَوْمَ قَازِفٌ صَخْرَةَ الْمَوْتِ —
 ت .. عَلَيْهِ تَهْوِي .. فَتُرْدِي .. وَتَقْبِرُ !
 وَ (أَبُوجَهْلٍ) جَنَدَلَتُهُ قَنَاقَةً
 فَهَوَى تَحْتَ جَنَدَلِ الْبَيْدِ يَزْحَرُ
 وَقَفَ الْكُفْرُ فَوْقَهُ يَنْدُبُ الْكُفْرُ —
 ر ! وَيَهْدِي عَلَى الرُّفَاتِ وَيَهْذِرُ
 يَاعِدُوا الْإِسْلَامَ ! خُذْهَا مِنَ الْإِسْلَامِ —
 لَام .. رَدَّتْكَ كَالْقَنَاءِ الْمَتَكَسِّرِ
 طَعْنَةً مِنْ (مُعَاذٍ) أَخْرَسَ فُوهَا
 فَكَ .. بَعْدَ مَا كُنْتَ تَنْهَى وَتَأْمُرُ
 لَكَأَنِّي بَعْظَمُكَ الْآنَ يَصْطُكُ —
 وَيَغْلِي مِنَ الْأَسَى وَالتَّحَسُّرِ

وشظايا اللسان ندمانةً كا —

دَتْ لَنُورِ الْهُدَى حَنِينًا تُكَبِّرُ !

تَمَرَاتٌ فِي كَفٍّ أَعْزَلَ ، جَوْعًا —

نَ ، هَضِيمٍ بَيْنَ الْوَعَى مَتَعَتِّ

عَرَبِيٍّ مِنْ شِيعَةِ اللَّهِ وَإِنْ

عَنْ صِرَاعِ الْهِجَاءِ — حُزْنًا — تَأْخَرُ

حِينًا شَاهَدَ النَّبِيَّ تَلَاظَتْ

جَمْرَةُ النَّصْرِ فِي حَشَاةِ الْمَفْتَرِ

سَلَّ مِنْ رُوحِهِ حُسَامًا ! وَمِنْ إِسْدِ

— لَامِهِ فِي مَسَابِحِ الرَّوْعِ خِنْجَرَ

هَكَذَا نَجْدَةُ السَّمَاءِ أَحَالَتْ

وَاهِنَ الْجِسْمِ كَالْعَتِيِّ الْمَدْمَرِ !

فَإِذَا النَّصْرُ صَيِّحَةٌ هَزَّتِ الدُّنَى

يَا وَرَاعَتْ بُرُوجَ (كَسْرَى) وَ (قَيْصَرَ)

وَإِذَا (بَدْرُ) خَقَقَتْ فِي لِسَانِ الشَّ

— رَقٍ يُزْهِى عَلَى صَدَاهَا وَيَفْخَرُ !

عرش على الصحراء...

« هذه القصيدة من إلهام الرحلة الملكية الميمونة التي قام بها حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم « فاروق » الأول إلى الصحراء الغربية في منتصف سبتمبر سنة ١٩٣٨ م . فكانت عيداً للانسانية في قلب الصحراء وعرساً خالداً لأبنائها البائسين » .

نَعَمْ عَلَى شَفَةِ الصَّحَارَى هَادِلُ
هُوَ آيَةٌ، الْخَانُ (عَبَقَر) تَسْتَحِي
سَجَدَتْ لِنَشْوَتِهِ الرِّيحُ وَكَبَّرَتْ
وَاهْتَزَّ قَلْبُ الْبَيْدِ هَزَّةَ عَاشِقٍ
وَمَضَى الْبَشِيرُ عَلَى الْقِفَارِ ، كَأَنَّهُ
رَجَفَتْ لِسِحْرِ الشَّدْوِ مِنْهُ (بَابِلُ)
إِنْ رَنَّ مِلْهُمُهَا الطَّرُوبُ الزَّاجِلُ
تَحْتَ الْخِيَامِ عَشَائِرُهُ وَقَبَائِلُ
بَكَرَتْهُ بِالْبُشْرِى مُنَى وَرَسَائِلُ

وَكَأَنَّ رَجَعَ صَدَاهُ ضَجَّةً فَاتِحٍ
لَفْظًا .. وَتَحْتَشِدُ الْقُلُوبُ لِحَرْسِهِ
سَيِّكَابُ مُزْنٍ فِي السَّبَّاسِبِ هَاطِلُ
فَزَعِ الْخِلَاءُ لَهَا ، وَمَادَ الْآهَلُ
وَيَهْلُلُ الشَّاكِي ، وَيَهْفُو الْآمِلُ

وَتَرَفُّ أَرْوَاحُ الْعِبَادِ لِطَيْفِهِ رَفَّ الْحُمَامُ تَكْنَفَتْهُ ظِلَائِلُ
« فَارُوقُ » ! وَالصَّخْرَاءُ رَاحَتْ بِاسْمِهِ

شَرْفًا عَلَى نَجْمِ السَّمَاءِ تَتَخَايَلُ
لَيْسَتْ لَهُ حُلَلُ الْأَشْعَةِ فَرَحَةً وَارْتَجَّ فِي فَمِهَا السُّكُونُ الذَّاهِلُ
وَتَدَفَّقَتْ مُهْجًا ، وَسَالَتْ أَنْفُسًا

لَوْلَا صَفَاءُ الْيَشْرِ قُلْتُ « جَحَافِلُ »
مِنْ شَيْبَةِ النِّسْيَانِ هَلَّ شَبَابُهَا وَضَفَّتْ عَلَيْهَا مِنْ صِبَاهُ غَلَائِلُ
فَسَمَاؤُهَا صَفْوُ الْمَنَى ، وَهَوَاؤُهَا عَبَقُ مَنْ الرِّكْبِ الْمُطَيَّبِ نَاهِلُ
وَصَبَاحُهَا أَمَلٌ ، وَمَغْرِبُ شَمْسِهَا حُلْمٌ عَلَى شَفَقِ الْبَوَادِي مَائِلُ
قَدْ فَاضَ إِعْجَازُ السَّنَا بِرُبُوعِهَا سَيَّانُ شَارِقِ نُورِهَا وَالْآفِلُ
أَصْبَحَتْ يَا « فَارُوقُ » خُلِدَ ضِيَاءُهَا

لَوْلَاكَ لَيْلُ قَتَامِهَا مُتَوَاصِلُ

مَوْلَايَ اخْطُوكِ فِي الرَّمَالِ نُبُوءَةً لِلْخَيْرِ ، فِي يَدِهَا الْبَشِيرُ الْعَاجِلُ
بَيْضَاءُ يَفْتَرُ الضُّحَى لِقْدُومِهَا طَرَبًا وَتَخْشَعُ فِي الْكُثِيبِ أَصَائِلُ
وَتَمِيلُ أَجْنَحَةُ السَّوَا فِي رَهْبَةٍ وَتَثْرِثُ مِنْ لُحْبِ الْهَجِيرِ جَدَائِلُ

ويكادُ صَمَّتْ أَلْقِيْظُ حَوْلَ خِيَامِهَا هَزَجُ الرَّبِيعِ بِظِلِّهِ يَتَسَاجَلُ
وَخَرِيفُ وَاحْتِهَا يَعُودُ عَرَائِشًا يَخْضَلُ يَابِسَهَا، وَيَحْيَا الذَّا بِلُ
وَتَذُوبُ أَنْفَاسُ الْفَرَادِيسِ حَوْلَهَا فَتُذِيعُ نَافِجَهَا رَبِّي وَخَمَائِلُ
غَوْتُ ، وَغَيْثُ الْقِفَارِ ، وَرَحْمَةٌ

وَنَدَى .. أَجِبْنِي : هَلْ يَدَاكَ مَنَاهِلُ ؟
بِحُزْنٍ مِنْ أَخْيَرَاتِ صَفَقِ مَوْجِهِ لَوَارِدِينَ ، وَرَاحَ يَدْعُو السَّاحِلُ
بَرَكَاتُ رَبِّ التَّاجِ تُرْعِ فِيضُهُ وَيُذِيبُ لُجَّتَهُ الْكَرِيمُ الْبَازِلُ
أَنِّي سَرَيْتُ رَأَيْتُ ثَرَّةَ فِضَّةٍ هِيَ فِي لِيَا لِي الْبَائِسِينَ مَشَاعِلُ
مِنْ رَاحَتِكَ سَكَبَتْهَا هَبَّةُ الْعَلَا مِنْ نَبْعِهَا الْعَرَبُ الْأُبَاةُ نَوَاهِلُ
قَوْمٌ عَلَى جِلْدِ الصَّفَاةِ تَمَسَّكُوا وَعَلَى الْمَنَابِعِ قَدْ تَذُوبُ جَنَادِلُ
هَمَّ لَقْنُوا الدُّنْيَا الْفَضَا ئِلَ وَالْهُدَى وَالْكَوْنُ فِي هَمَجِ الرِّذَا ئِلَ وَاعِلُ
مَنْ أَرْضَهُمْ شَعَّتْ رِسَالَةُ (أَحْمَدِ) ^(١) بِالنُّورِ لَا بِالسَّيْفِ عَنْهُ تَنَاضِلُ
طَلَعَتْ عَلَى الْفَوْضَى فَهَارَ عُمُودِهَا

وَالشَّرُّكَ مَاتَ بِهَا ، وَدُكَّ الْبَاطِلُ
بَدَوِي ^(١) (مَكَّة) زَفَّهَا قَدُوسِيَّةً أَلَقَ الشَّمُوسُ بِظِلِّهَا يَتَضَاعِلُ
وَأَتَيْتَ تَعْلَى فِي الْقِفَارِ مَنَارَهَا وَالْعَصْرُ مَطْمُوسُ السَّرِيرَةِ غَافِلُ

صَحْبُ الحَضَارَةِ ماثَكَ ، وَلَا لَوَى

رَكَبَ الْعَلَا لَغَطُ الشُّعُوبِ الْهَائِلُ

فَسَرَيْتَ لِلْأَعْرَابِ تَخْطُرُ بَيْنَهُمْ

بِشَمَائِلِ عُمَرِيَّةٍ سَطَعَتْ بِهَا

هَرَعُوا إِلَيْكَ مِنَ الشُّعَابِ وَيَمَّتْ

نُورَ الرُّكَّابِ مِنَ الْفِجَاجِ قَوَافِلُ

وَتَهَامَسَ الرُّكَّابَانُ فِي فَلَوَاتِهِمْ

مَاذَا عَلَى الصَّحَاءِ جَنٍّ كُوفَهَا

وَالرَّيْحُ أَنْسَامٌ هُنَاكَ شَذِيَّةٌ

وَالْيَدُ مُحْرَابٌ تَوْهَجَ بِالْهَدَى

مَاذَا هُوَ. وَجَلَّجَلْ بِالْبَشَارَةِ هَاتِفٌ:

مِنْ هَالِكَةِ (الْفَارُوقِ) شَعَشَعَ لِمَحْهُ

مَوْلَانِي لِمَا لِحَبْلِكَ أَصْحَرَتْ آيَاتُهُ

غَنَى بِكَ (الْحَادِي) فَكَبَّرَتْ الْفَلَا

حَيَّاكَ قَطْرُ الْمَرْزَنِ حِينَ وَصَلَتْهَا

وَأَهْلٌ بِالنَّعَمِ السَّوَابِغِ وَابِلُ

ADG - LIBRARY

وَسَرَتْ خُطَاكَ ، أَلَيْمُنُ يَسْبِقُ ظِلَّهَا
وَتَقْفِضُ بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ أَنَا مِلُّ
فَالْبَائِسُونَ مَضَى يُكَفِّفُ بُوْسَهُمْ
أَمِلْ يَهْدِلُ بَيْنَهُمْ وَتَفْ—أَوَّلُ
مَا هَلَّ نوركَ حَتَّى غَدَا
وَالْيَائِسُونَ مِنَ الشِّفَاءِ رَحِمَتَهُمْ
مَا كَدَتْ تُشْرِقُ فِيهِمْ حَتَّى مَضَى
نَجْمُ الشَّقَاوَةِ عَنْ حَمَاهُمْ مَا ئِلُ
وَالدَّاءُ فَتَاكَ الْمَوَاجِعِ قَاتِلُ
لِلْبُرِّ جُرْحُ زَمَانِهِمْ يَتَمَائِلُ

يَا وَادِيَ الْأَبْطَالِ حَيْتَكَ الْعَلَا
مَلِكُ شَأَى بِالتَّاجِ يُنْهَضُ شَعْبُهُ
أَوْفَى فِهْزِ الْجَيْشِ وَاشْتَهَتْ أَلْطِبَا
سَجَدَتْ لَهُ الْأَسْيَافُ تَكْرُمُ سَيْفُهُ
تَرَكَ الْحُدُودَ كِتَابًا نَحْوَرَةً
وَأَتَى وَقْلُبُ الشَّرْقِ فَاضَ بِحُبِّهِ
وَحَبَاكَ تَكْرُمَةَ الْبُطُولَةِ عَاهِلُ
وَيَذُودُ عَنْ مَجْدِ الْحَمَى وَيَصَاوِلُ
لَوْ أَنَّهَا فَوْقَ السَّهْلِ تَتَطَاوِلُ
وَتَبَسَّمَتْ فَوْقَ الصُّدُورِ حَمَائِلُ
بِالنَّصْرِ أَثْمَلَهَا الْقَوَى الْعَادِلُ
وَالنَّيْلُ أَزَّتْ مِنْ هَوَاهِ مَرَا جِلُ

مولاي ! رِقَ الْقَيْدِ أَرْهَقَ مِزْهَرِي

وَطَحَا بِي الزَّمَنُ الْغَيْبُ الْجَاهِلُ

غَنَيْتُ لِلْوَادِي، فَجَاوَبَنِي الْأَسَى

أَلْوَلَا سَنَّاكَ، وَقُدْسُهُ فِي مُهْجَتِي

شَدُو فَيَخْنُقُنِي الْهَجِيرُ وَنَارُهُ

فَأَفِضْ عَلَى النُّورِ، وَأَسْكُبْ ظِلَّهُ

عَجِبًا! أَتَسْجَعُ فِي الْهَجِيرِ بِلَا بَل؟

فَاَلْمَلْهُمُونَ مِنَ السَّمَاءِ قَلَائِلُ!



ADG - 1195-111

دموع إنسانية

من أنين المشردين !!

« إلى الاطفال الذين نبذتهم الحياة ،
وشردتهم قسوة الانسانية ، فراحوا
يهيمون في الظلام .. وسيهيمون حتى ينبت
للرحمة غراس في قلوب البشر !! »

نَحْنُ دَمْعٌ فِي تَرَابِ الزَّمَنِ مَا بِنَا يَشْعُرُ سَارٍ فِي الْحَيَاةِ !
قَدْ تَجَافَتْنَا ظِلَالُ الْوَطَنِ وَاجْتَوَانَا كُلُّ حَيٍّ فِي ثَرَاهِ
كَلِمَا نَشْكُو عَذَابَ الْمَحَنِّ -

تَهْتَفُ الشُّكُوى عَلَى بُؤْسِ الشَّفَافَةِ :
لَوْ دَعَوْتُمْ مَيِّتًا فِي كَفَنٍ أَوْ صَرَخْتُمْ بَيْنَ أَجْوَاذِ الْفَلَاةِ ،
رَدَّدَ الْمَيِّتُ نَشِيدَ الْحَزَنِ وَرِمَالُ الْبَيْدِ رَقَّتْ لِلشَّكَاةِ !!

مَلْنَا الْكَوْخَ ، وَعَافَتْنَا الْقُصُورُ
رَاحَةُ الْمَوْتِ وَشُطْطَانُ الْقُبُورِ
فِي جَافِينَا !! فَتَبَكَّى ، وَنَدَوْرُ
عَدَمٍ يَمْشِي ! وَأُنَابَتْ تَسِيرُ !
يَا تَرَى قَدَمَاتٍ فِي النَّاسِ الشُّعُورُ ؟
فَمَشِينَا فِي الدُّجَى نَصْفَ عُرَاهِ
مَرَقْدٍ نَبَحَتْ دَوْمًا عَنْ لِقَاةِ
دَوْرَةِ الْآثَامِ فِي وَادِي الصَّلَاةِ
وَالْوَرَى يَخْبِطُ لَيْلًا فِي كِرَاهِ ..
أَمْ تَوَلَّى عَنْهُمْ عَذْلُ الْإِلَهِ !

لَمْ يَطِبْ لِلنَّبُوءِ فِيكَ مُقَامٌ ..

لحن هزبن هزته ذكرى الأديب العربي
الخالد « مصطفى صادق الرافعي »

لَمْ يَطِبْ لِلنَّبُوءِ فِيكَ مُقَامٌ ..
لَا عَلَيْكَ - الْغَدَاةَ - مَنِّي سَلَامٌ !
الْمَنَارَاتُ تَنْطَفِئُ بَيْنَ كَفَيْتِ
كَ ! وَيَزْهُو بِشَاطِئِكَ الظَّلَامُ
وَالصَّدَى مِنْ مَنَاقِرِ الْبُومِ يَحْيَا
وَيَمُوتُ النَّشِيدُ وَالْإِلْهَامُ
قَدْ حَبَوْتَ النِّعِيبَ ظِلْمَكَ . لَكِنْ
أَيْنَ قَرَّتْ بِشَطِّكَ الْأَنْعَامُ ؟
فِي هَجِيرِ الْأَيَّامِ تَمُضِي أَغَانِي -
كَ حَيَارَى ، يُوجُّ فِيهَا الضَّرَامُ
عَبْرَتُ مَسْبَحِ الْجَدَاوِلِ ، وَالنَّهْرُ -
رَ ، وَغَابَتْ كَأَنَّهَا أَوْهَامُ

تَسْكِبُ السَّحَرُ مِنْ شِفَاهِ .. عَلَيْهَا
مَضْرَعُ السَّحَرِ : لَهْفَةٌ ! وَأَوَامُ !
تَسْكِبُ العَطَرَ وَالْحَمَائِلُ صُفْرَهُ
مَاتَ فِي الْأَيْكَ نَوْرُهَا الْبَسَامُ !
تَسْكِبُ الْبُرْءَ مِنْ جِرَاحِ .. عَلَيْهَا
تُرْعَشُ الْعَمْرُ شَكْوَةً وَسَقَامُ !
أَنْتِ يَا (مَصْرُ) : وَاصْفَحِي إِنْ تَعَبْتِ
تُ وَأَشْجَاكِ مِنْ نَشِيدِ الْمَلَامِ ..
.. قَدْ رَعِيَتْ الْجَمِيلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ
غَيْرَ مَا أَحْسَنْتِ بِهِ الْأَقْلَامُ !
مِنْ رَوَايِكَ خَفَّ لِلْخُلْدِ رُوحُ
قَدْ نَعَاهُ لِعَصْرِكَ الْإِسْلَامُ
لَبِسَتْ بَعْدَهُ الْعُرُوبَةُ ثَوْبًا
صَبَغُ اسْتَارِهِ أَسَى وَقَتَامُ
لَمْ تُفَقْ مِنْ شُجُونِهَا فِيهِ (بَعْدًا
دُ) ! وَلَا صَابَرَتْ أَسَاهَا (الشَّامُ)

وَعَلَى (بِلْدَةِ الْمُعِزِّ) دَمُوعٌ
خَلَّدَتْ ذِكْرَهُ بِهَا الْأَهْرَامُ
صَاحِبُ الْمُعْجَزَاتِ أَعْيَتْ حِجَابَ الدُّنْيا ،
وَعَيَّتْ عَنْ كَشْفِهَا الْأَفْهَامُ
يَخْبَأُ الْحِكْمَةَ الْخَفِيَّةَ فِي الْوَحْدِ
سِ كَمَا تَخْبَأُ الشَّدَى الْأَنْسَامُ
وَيُزْفُ الْبَيَانَ كَالسَّلْسَلِ الْمُسْتَكْبَرِ
تَهْفُو بِشَطِّهِ الْأَحْلَامُ
فَإِذَا رَقَّ خِلْمَتَهُ قُبِّلَ الْفَجْزُ
رَ عَلَى نَارِهَا يَلْذُ الْمَنَامُ
أَوْ حَدِيثَ النَّسِيمِ لِلزَّهْرَةِ السَّكْدِ
رَى . . مِنْ الطَّلِّ كَأْسُهَا وَالْمُدَامُ
أَوْ حَفِيفَ السَّنَابِلِ الْخُضْرِ . . رَفَّتْ
فِي رُبَاهَا قَنَابِرٌ وَيَمَامُ
أَوْ دُعَاءَ النَّسَاكِ . . أَبْلَتْ صَدَامُ
فِي حِمَى اللَّهِ سَكْرَةٌ وَهِيَامُ

وإذا ثارَ خِلْتَهُ شُهْبَ اللَّيْلِ
ل أطارتْ لَهْيَهَا الأَجْرَامُ
أو شُواظًا مَسْطَرًّا . . قَذَفْتَهُ
من لظى العقل هَيْجَةً وَعُرَامُ
أَتَعَبَ الْجَاهِدِينَ خَلْفَ مَرَامِيهِ
ه بِقَصْدٍ مَنَالُهُ لَا يُرَامُ
أَصِيدُ الْفِكْرَ وَالْبِرَاعَةَ وَالْوَحْدَ
س . . عَلَى كِبَرِهِ يُفْلُ الْحُسَامُ
حَيْرَ النِّقْدِ أَنْ تَرْوِغَ الْمَعَانِي
عَنْ مُرِيدِهِ ، أَوْ تَنْدَّ السَّهَامُ
فَانزَوَى الْحَاسِدُونَ . . إِلَّا فَضُولًا
لَا يُدَارِيهِ عَائِبٌ شَتَامُ
قَدْ سَقَاهُمْ مِنْ سِنَّهِ مَصْرَعَ الرُّوْ-
ح وَإِنْ لَمْ تَلَاقِهِ الْأَجْسَامُ
فَلْتَقُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ ثَوْرَةٌ الشَّامِ
نِي . . فَقَدْ فَارَقَ الْوَعَى الصَّمْنَامُ

وله الشَّانُ .. عزَّةٌ وخُلُودٌ !
 ولهم شأنهم صدَى وكلامٌ ..
 إليه ياساقٍ « المساكين » كَأَسَا
 لم تُسَلِّسْ رَحِيقَهَا الأَيَّامُ
 قد جَعَلَتْ الآلَامَ وَخِيكَ حَتَّى
 فَجَّرَتْ نَبْعَهَا لَكَ الآلَامُ
 ما الذى كَانَ فى سَحَابَتِكَ الحَمَمَ
 راءِ إِلَّا الشُّجُونُ والأسْقَامُ !
 كُنْتَ فى عزلةٍ معَ الوَحَى تَشْكُو
 ولشكواكِ كَادَ يَبْكِي الغَمَامُ
 تَمْسَحُ الدَّمْعَ من عُيُونِ الْيَتَامَى
 وَيَبْلُوكِ يَنْشِجُ الأَيَّامُ
 صُنْتَ عَهْدَ الْبَيَانِ لَمْ تُرَخِّصِ الْقَوَى —
 لَ ، شَابَ سِحْرُكَ الإِعْجَامُ
 وَتَفَرَّدْتَ بِالصِّيَاغَةِ . . حَتَّى
 قِيلَ فى عَالَمِ الْبَيَانِ : إِمَامُ !

وَوَهَبْتَ (الْفُرْقَان) قَلْبِكَ .. حَتَّى
 فَاضَ مِنْ قُدْسِهِ لَكَ الْإِلَهَامُ
 فَبَعَثْتَ الْإِعْجَازَ كَالشَّمْسِ مِنْهُ
 يَتَهَدَّى عَلَى سَمْنَاهُ الْأُنَامُ
 فَقُمُ الْيَوْمَ! وَاَنْظُرِ الشَّرْقَ: ضَاعَتْ
 مِنْ يَدَيْهِ مَوَاقِقُ وَذِمَامُ
 مَزَقَتْ قَلْبَهُ الذُّبَابُ مِنَ الْفَتَّةِ
 لَكَ .. وَنَامَ الرُّعَاةُ وَالْأَغْنَامُ !
 فِي (فِلِسْطِينَ) لَوْ عَلِمْتَ جِرَاحَ
 مَا لَهَا فِي يَدِ الطُّغَاةِ النِّتَامُ
 وَطَنُ الْوَحْيِ، وَالنُّبُوءَاتِ، وَالْإِلَهِ
 سَام .. أَوْدَى! فَعَاثَ فِيهِ الطَّغَامُ
 جَذْوَةٌ فِي جَوَانِحِ الشَّرْقِ تَغْلَى
 فَيَرُوعُ السَّمَاءُ مِنْهَا اضْطِرَامُ
 يُذْبَحُ الْقَوْمُ فِي الْمَجَازِرِ — فَرَطَ الظُّ
 لَمَ فِيهَا — كَانَهُمْ أَنْعَامُ

ويُهَانُ (المسيحُ) في موطن القُدِّ
 س ، ويشقى بأرضه الإسلامُ
 وحُماةُ البَيَانِ خُرسٌ . . كَأَنَّ الذَّ
 وَدَ عَنْ كَعْبَةِ الْجُدُودِ حَرَامٌ !!
 إِيهِ يَا «مُصْطَفَى» وَفِي الْقَلْبِ شُجُو
 نٌ ! وَفِي الصَّدْرِ حُرْقَةٌ وَضَرَامٌ
 لَيْتَ لِي سَمْعَكَ الَّذِي كَرَّمَ اللَّهُ
 لَهُ صَدَاهُ ! فَمَاتَ فِيهِ الْكَلَامُ
 كُنْتَ وَالْوَحَى عَاشِقَيْنِ . . فَمَاذَا
 بَعْدَ نَجْوَى السَّمَاءِ يَبْنِي الْغَرَامُ ؟
 كُنْتَ وَالْوَحَى فِي سَكُونِ نَبِيٍّ
 عَادَهُ فِي صَلَاتِهِ إِلْهَامُ
 تَتَلَقَّاهُ خَاشِعَ الْهَمْسِ عَفَاً
 مَثَلَمَا رَفَّ بِالْغَدِيرِ حَمَامُ
 لَا ضَجِيجَ ! وَلَا اضْطِخَابَ ! وَلَكِنْ
 هَدَاةُ الرُّوحِ قَدْ جَلَّاهَا الْمَنَامُ

هكذا نَعَشِكَ الطَّهَّورُ . تَهَادَى
كالأمانى ، لاضِجَّةٌ ! لا زِحَامُ !
فاذْهَبْ اليَوْمَ للخلودِ كما كُنْتَ
ت . . . تُغَادِيكَ هَذَاهُ وسلامُ
لَمْ يَمُتْ من طَوَاهُ في قلبه الشرُّ
قُ ! وَغَنَى بِذِكْرِهِ الإسلامُ !







الى ملهمنى الخالدة . . .

لقد أشعلت روصى بلهيك المقدس ، ثم أخفيت نورك عنى
وراء الغيوب وتركنتى أثرى ألف الدلهايم منه جنوة لا يهراً
سعيها منى تعودى الى . . .

ولعل نعمة واحدة منه رجع هذا الأنيب ، تغريك
بالعودة الى جدولنا العزيز . . . حيث الظهور الشاعرة . .
والجمال العبقري . . والحب العالى عن مسابح الادميين ! !

وَطَنُ الْفَاسِ

« ظلت القرية المصرية إلى عهد قريب منبوذة عن الفنون القومية وبخاصة الأدب ، فلقد انحرف عنها سمتة ، ولم ينتفس له أثر بأسرارها الفنية الخبوءة ، حتى على يد أكبر الأدباء والشعراء في (مصر) ذيوعا وشهرة . . إما لصلف في الأقلام أغرقتها به نزعة التحضر ومصانعة المدينة العصرية الزائفة حرصا على مسامرة أذواق الجماهير . . وإما لموات الاحساس الفني الصادق الذي يتجاوب مع البيئة ويترجم عن أثرها فيه . . وإما لهما مجتمعين ! . وقد كان الشاعر بحكم الوضع والمنزع اللذين هبأتها له الطبيعة المصرية بتفتح روحه على شطها الرائع الحزين ، أن تكون بواكير ألقانه في التغنى بسحرها وأن تظل إلى اليوم الملهمة الثانية لأناسيده . . فما كاد يظهر ديوانه القروي الأول (أغاني السكون) في مستهل عام ١٩٣٥ م . حتى خف أنصار هذا الاتجاه الجديد في الأدب إلى إقامة حفل تكريمي له يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٥ م . وقد كانت هذه القصيدة لحن الشاعر في هذا الاحتفال »

في الضحى ، والشعاعُ جاثٍ على النيبِ -

ل ، كما خَرَّ ساجدٌ في صلاتِهِ -

والرياحينُ ناهلاتٌ من الطِّ -

ل رحيقَ الصهباء من قطراتِهِ -

خمره سلسل الضياء طلاها
 فجرت كوثراً على ربواته
 عربد الزهر من شذاها فأفشى
 سر جناته على نفاحاته !
 والفراش الوديع يسبح في الأيـ
 ك ، ويحس العبير من زهراته
 ومن الطير سجمة ورنين
 ومن النحل زفة في رباته
 وهنا هدهد تولع في الحفـ
 ل بطل يفيء من نخلاته
 فيلسوف أضاع حكمته الدهـ
 ر فرام الرشاد من نقراته !
 وفصاد يزق في ضحوة النـ
 ور ، فيخفي الربيع في خطراته
 فتنته من القنابر عذر—
 اء ، فهاج الدفين من صبواته

والعصافيرُ شاديَاتُ على الدَّوِّ
 ح ، تُنَاغِي بِشَدْوِهَا شَجَرَاتَهُ
 جَنَّةُ نَضْرَةِ الْخَمَائِلِ فِي الرِّيّ
 ف ، نَمَاهَا مُعَذِّبٌ فِي حَيَاتِهِ
 نَاسِكٌ فِي الْحَقُولِ ، هَيْمَانٌ بِالْأَرْ
 ضِ ، يُجَلِّى بِتَرْبِهَا دَعَوَاتَهُ
 حَمَلَتْ فَاسَهُ مِنْ الْغَيْبِ سِرًّا
 حَيَّرَ الْعَقْلَ كَامِنٌ مِنْ صِفَاتِهِ
 حَطَبٌ يَابِسٌ يَمُرُّ عَلَى الصَّخْرِ
 ر ، قَتَزَهُ الْوُرُودُ فِي جَنَبَاتِهِ !
 رَصَدَتْ فِي الْحَدِيدِ ، لَوْ أَنَّ « هَارُو —
 ت » رَقَاهُ لَضَلَّ فِي قَسَمَاتِهِ !
 حِكْمَةٌ تَبْهَرُ النَّهْيَ حَطَمَ الْعِذْ
 مٌ لَدَيْهَا الْعَظِيمَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ
 لَوْ رَنَا الْمَلْحِدُ الْعَنِيدُ إِلَيْهَا
 وَهُوَ جَمُّ الضَّلَالِ مِنْ نَزْغَاتِهِ ،

رَجَمَتْ غِيَّهٗ ، وَكَادَتْ — جَلالاً —

تَسْكِبُ الرُّشْدَ وَالْهُدَى مِنْ لَهَاتِهِ ١

جَنَّةٌ ، بَرَّةٌ الْأَفَانِينَ ، لَفَّ

أُ ، نَمَاهَا مَعَذَّبٌ فِي حَيَاتِهِ

شَاعِرٌ فِي الضَّحَى يُغْنِي فِتْصُغِي ✓

كُلُّ سَوْسَانَةٍ عَلَى رَايَاتِهِ

سَرَقَ الطَّيْرُ شَمْدَوْه حِينَ فَاضَتْ ✓

خَدَجَاتُ الْإِيْمَانِ مِنْ أَغْنِيَاتِهِ

وَبَكَى النَّبْتُ شَجْوَهُ حِينَ غَنَى ✓

وَأَذَاعَ الشَّجُونَ فِي نَبْرَاتِهِ

هَلْ رَأَيْتَ النَّدَى مَدَامَعَ زَهْرٍ ✓

فَضْنَ مِنْ رَقَةٍ عَلَى وَجَنَاتِهِ ؟

أَتُوَاسِيهِ فِي الضَّنَى نَبْتَهُ الْحَقِّ ✓

سَلِ ، وَيُغْضِي الْإِنْسَانَ عَنْ حَسْرَاتِهِ ؟

تِلْكَ أَعْجُوبَةُ الْوَفَاءِ ! فَيَا وَيْ

يَحْ لَشَعْبِ يَهُيمٍ فِي غَفَلَاتِهِ ١

والسَّوَّاقِ مُفَجَّعَاتٍ عَلَيْهِ
نَائِحَاتٍ تُرِيقُ مِنْ عِبْرَاتِهِ
عِنْدَهَا الثَّوَرُ قَيْدَتُهُ يَدُ الظُّلِّ

م . وهذا حليفه في سِمَاتِهِ !
والشَّوَادِيفُ كَمْ أَرَنْتَ بِأَذْنَيْهِ
ه ، وصاحته تَتَنُّ فِي مَزْرَعَاتِهِ !

شَهِدَتْ شَمْلَةً عَلَيْهِ تَحَاكِي
كَفْنَا مُزَقَّتْ بِوَالِي رُفَاتِهِ
صَبَّغَ الْحِظُّ لَوْنَهَا بِسَوَادِ
مِنْ أَسَى نَحْسِهِ ، وَمِنْ عَثْرَاتِهِ
نِصْفُ عُرْيَانِ الْوَسْرَى نَسَمُ الْفَجِّ

ر . عَلَيْهَا تَطِيرُ مِنْ خَفَقَاتِهِ
عَبَسَتْ وَالضِّيَاءُ مُبْتَلِجُ اللَّمَنِ

ج . تَمِيسُ الْحَقُولُ فِي هَالَاتِهِ
فَحَكَّتْ خَطَرَةً مِنَ الْهَمِّ رَأَتْ
فِي ضَمِيرِ الضُّحَى عَلَى قَنَوَاتِهِ !

يابسُ الكفِّ من عناءٍ وبرحٍ
شققَ الكدُّ بالضَّنى أنمَلاتِه

وهوَ إن مَسَّ زهرةً لم تفتَحْ ،
نفحتْ عطرَها على راحاتِه ؟

كم صَبَا السُّبُلُ الحبيبُ إليه
ساكبًا بين راحِه قُبَلاتِه

وهفتْ نورةٌ من الفول يَمْضِـ
أُكْطِيفِ الإيمانِ في صلواتِه

عشقَ الزَّهرُ كفه فتمنَّى
خُلدَ أطرافِها على ورقاتِه !

إيه يا جَنَّتِي ! لقد صدح النَّأـ
يُ ، وروحي تفيض من نفثاتِه

شفَّنِي في حِمَاكِ قومٍ حَيَارَى ،
ندَبُوا نحسَمهم على صَفحاتِه

تَضَرُّوا غَرْسَكَ الرطيبَ ، وناموا ،
 فعددا غاصِبُهُ على ثَمَرَاتِهِ
 قُطِفَ اليانع الشَّهِي ، وألقى
 لَبَنِيكَ الجِيع ، فَضَلَ فُتَاتَهُ !
 إِيهِ يَا كُوخِي الحبيب ! أَلَا تَسْ
 مَعُ شَدُوْا سَكْرَتُ مِنْ صَدَحَاتِهِ ؟
 غَزَلَ المُرُوجُ عَفُّ الأمانِ
 عبقريُّ فَنَيْتُ فِي نَعْمَاتِهِ
 وَدَّتْ الغَيْدُ لو تَكَلَّلْنَ مِنْهُ
 رَشَفْنَ الغَرَامَ مِنْ سَجَعَاتِهِ
 حَسَدَ القَصْرِ لِحْنِهِ ، وَتَمْنَى
 خَفَقَهُ للبروجِ مِنْ أَيْيَاتِهِ
 قَدْ غَنِمْتَ السُّرَى إِلَى الخُلْدِ مِنْهُ
 وَوَهَبْتَ العِزَّاءَ مِنْ أَغْنِيَاتِهِ !



مِنْ لَهَيْبِ الْخُرَّمَاتِ ..

« أسدل المحراب أستاره فنفت
العابد هذه الخفقات »

أَسْدَلْتُ مِثْرَهَا ! وَقَالَتْ : رُويْدًا
عابدَ الحُسْنِ ، وَاتَّذَنْ فِي صَلَاتِكَ
غِبْ قَلِيلًا عَنِ الْعُيُونِ ، وَأَنْشُدْ
خَفَقَاتِ الْغَرَامِ فِي خُلُواتِكَ
إِنَّ هَمْسًا يَرْفُ فِي سَاحَةِ الْمَعْبَدِ
— أَخَشَى ذِوَعَهُ مِنْ وُشَاتِكَ !
غِبْ قَلِيلًا وَفِي دَمِي لَكَ عَهْدٌ
أَنَا .. وَالْحُبُّ .. وَالْمَنَى .. لِحَيَاتِكَ
خَمَرْتِي شِعْرُكَ الْعَفِيفُ ، وَيَا طَهْرِي
— إِذَا مَا انْتَشَيْتُ مِنْ كَسَاتِكَ !

وجلالُ الهوى ، وقُدسُ جمالى
خفقاتُ صدحنَ من أغنياتك
رى رُوحى إذا ظمئتُ خيالً
مُسْتَطارٌ يرنُّ من أيباتك
فترنم ! فإن رُوحى تُصغى
خلفَ أستارها إلى نغماتك !

قلتُ : والنارُ فى دى كيف تَهْدأ
إن حجبَتِ الضياءَ من قسَماتك ؟
إن زادى من الحياة وميضٌ
رشفتُهُ العيونُ من بَسَماتك
فِتنَتى إن رَنوتِ مَوْجَةٍ نورٍ
أشرقتُ فى الجَنانِ من نَظراتك ،
كم طغى البؤسُ عابثاً بشبابى
فقبستُ النِّعمَ من وَجَناتك ،

وتوجَّعتُ . . فانتجبتِ لشجوى
وسكنتِ الهناء من قبلاَّتِك !
كيفَ أحياء وفي دمي تُقلق الرؤى
حَ نوازِ مفعَّجاتٍ فواتِك ؟
أنا لهفانُ ! والنعيمُ بكفِّيكِ
— دعيني أُمْتُ على عتباتِك
قالتُ : اهدأ ! فما عهدتكِ يوماً
تستثير النوى دفينَ شكاتِك
كم غزا البينُ قُرْبنا فتصبرُ —
تَ ورُمْتَ السلوان من ذكرياتِك !
قلتُ : يا لوعتا لظمانَ جنَّت
رُوحه لهفةً على رَشفاتِك !
كم وقفنا حِيالَ قصرِك نبكى
وخلصنا الغرامَ من شُرُفاتِك !
وشدونا الهوى ملاحنَ سحرِ
رُقرِقِ النورِ طيفها من سِماتِك

وشكوْنَا النَّوَى ، فكاد يطير أَلْـ
حُسْنُ فرط الحنان من غرفَاتِكْ
آه يا زهرتي ! لقد شفَّ رُوحِي
ظَمًا مُحْرِقٌ إِلَى نَفَحَاتِكْ
فارفعي السَّترَ بيننا ، ودعيني
أَتَحَسَّى الضياءَ من هالاتِكْ
رُبَّ وَمُضٍ من لُحْظِ عَيْنِيكَ ساجٍ
فَجَّرَ الوَحْيَ من سنا لمحاتِكْ
نهلتُهُ عَيْنَايَ فانسابِ شِعْرًا
عَبْقْرِيًّا يَفِيضُ من نظراتِكْ !

.....
وهنا أُسدِلَ السَّتار ! وَرَنَّتْ
خَفَقَةُ : لهفتا على أُمْنِيَاتِكْ !





دَعُ لَحْنَكَ الشَّادِي بِلا تَعْزِيفِ ..
طرب الخيالُ لِأَنَّهُ (الشَّادُوفِ)
عُرْيَانُ جَرَدِهِ الضَّحَى مِنْ سِتْرِهِ
فَغَدَا يَضِجُ بِدَمْعِهِ الْمَذْرُوفِ
لَمْ يُرْضِهِ ثَوْبُ السَّنَا سِدْلَالَهُ
يَخْتَالُ فِي بَهَجٍ وَلَمْحِ شُفُوفِ
فَبَكَى وَنَكَّسَ رَأْسَهُ مَتَذَلَّلًا
مُتَحَسِّرًا كَالْعَاشِقِ الْمَلْهُوفِ
فَإِذَا تَقَاعَسَ خَلَّتْهُ فِي صَمْتِهِ
جُثْمَانُ مَصْلُوبٍ بَغِيرِ كُفُوفِ

بَترت سِوَاعِدَهُ اللَّيَالِي ، وَانْبَرَتْ
تُبْلِيهِ فِي سَخَطٍ وَفِي تَعْنِيفِ
وَإِذَا جَثَا أَلْفَيْتُهُ مُتَعَبِدًا
طَهَرَتْ سِرَائِرُهُ مِنْ التَّزْيِيفِ
سَجَدَاتُهُ فِي النَّبْعِ قُبْلَةٌ وَالْه
طُبِعَتْ عَلَى سَلْسَالِهِ الْمُرْشُوفِ
صَدْيَانُ قَدَمٍ لِلْوُرُودِ شَرَابُهُ
وَأَعَارَ أَدْمَعَهُ لِقَلْبِ الرَّيْفِ
فِيظَلُّ يَظْمَأُ عَارِيًا ، وَالزَّهْرُ فِي
رَى ، وَنَبَتْ الْحَقْلُ فِي تَفْوِيفِ
ثَاوٍ عَلَى الْجُبِّ الْعَمِيقِ كَأَنَّهُ
أَعْمَى عَلَى جُرْفٍ هُنَالِكَ مُوْفِي
جَبَّارُ أَفْزَعَهُ الرَّدَى ، فَتَقَلَّصَتْ
أَضْلَاعُهُ مِنْ صَرَعَةِ التَّخْوِيفِ
فَتَخَالَهُ فِي الْوَهْمِ جُثَّةٌ مَارِدٍ
ضَجَرَتْ لَهْوَلٍ فِي الْقُبُورِ مُخِيفِ

فَأَعَارَتْ الْأُكْفَانَ ثَوْرَهُ حَانَقِ
بَرَمَتْ بِحَتَفٍ فَأَرْتَمَتْ بِحُتُوفٍ !
يَا صَامِتًا وَالرَّيْحُ تَحْفَقُ حَوْلَهُ
وَالنَّبْتُ يُطْرَبُهُ بِسَجَعٍ حَفِيفِ
وَتَصَائِحُ الْغُرَبَانِ يُنْذِرُ مَرْجَهُ
بِحَصِيدِ سَافِيَةٍ ، وَجَدَّبَ خَرِيفِ !
وَرَبَابَةُ الرَّاعِي تُهْدَهُ عِنْدَهُ
قَلْبًا يَهِيمُ بِلَحْنِهَا الْمَعْرُوفِ
سَكْرَى مِنَ الْأَنْعَامِ أَسْكُرَ شَدْوُهَا
أَذَانَ ثَاغِيَةٍ . وَسَمِعَ خُرُوفِ ..
هَلَّا شَجَّتْكَ نَفَاثَةٌ مِنْ بَائِسِ ..
لَهْفَانَ فِي كِنْفِ الطَّوَى مَلْفُوفِ
رَوَى الزُّرُوعَ بِصَيْبٍ مِنْ دَمْعِهِ
وَتَوَى بِقَلْبٍ فِي الظَّلَامِ لَهْفِ !



دمعة في قلب الليل

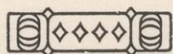
فزعت للظلام رُوحى كما يفـ زرعُ أعشى لومضةٍ من ضياءِ
 فخبستُ الخيالَ حتى إذا ما ضجَّ في خاطرى من البرحاءِ
 هربتُ أدمعى إلى ساحة الليل — لتهأوى في الدُّجى الظلماءِ
 ما لها في السنن ملاذٌ ولا في فجّة النور خفقة من رجاءِ
 ساقها في الظلام حادٍ من الهمِّ بلا ريثةٍ ولا إبطاءِ
 مستحشّ الخطى، حدوب على القـ لب يزجيه في رحاب الفضاءِ
 في عباب الدجى يهيم بمسرا ه فتضويه غيبة الميناءِ
 لئمت ملاحى الضلّول هدتهُ بارقات الهدى لسطّ الفناءِ
 طال في الليل سبجُهُ وهو حيرا ن شجته مضاضةُ الأعياءِ
 وطحت بالشرع هبات ريج عاصفات من زرع نكباءِ
 إيه يا ليل قدّلى من حواشيك حجابا وناجنى في خفاءِ
 لا تدع شجوى الكئيب ولا تكشف دموعى لأعين الرقباءِ

ودع النسيمة العليمة تحسو
 من فم الزهر بلسمًا للشفاء
 ودع الكون هاجعًا، ودع النسا
 سَ نشاوى في غمرة النعماء
 خلني للدموع وحدي أناجيه —
 ها وحيداً في العزلة السوداء
 أنا من كأسها شربتُ صديقاً
 خمرةً سُدَّستُ من البأساء
 عُصِرَتْ من مطارف الألم الداء
 تخذت جامها المحاجر والسا
 وى بقلبي وعُتِّتْ في دماي
 هي أشهى إلى عيوني من النو
 قى هماً يؤجُّ في أحشائي
 هاتِ يا ليل قطرها فهي حيرى
 ر، وأبهى من لحمة الأنداء
 كتَّمتُ برحها من الكبرياء
 سبقتُ مطلع الندى لك.. دعها
 تهادى للشجرة الفيحاء
 ربَّما أطلعتُ بِظِلِّكَ فجراً
 شعشتُ منه هالة في السماء
 ربَّما روتُ الأزاهر في المر
 ج فاستُ في الربوة الغناء
 وردُّه مَنِيَّةُ القلوب الظماء
 ربَّما فجرتُ بقلبك نبعاً
 بلغتُ شدَّوه رباحُ المساء
 همسها في الجفون أصداء ناى
 ب .. وأنغامه رنين البكاء
 مزهرٌ للعيون أو تاره الهد
 من معانيه عبقرى الغناء
 صامتٌ في الظلام ألهم قلبي
 لامنى في هواه خالٍ من الهـم
 بليد الفؤاد جمُّ الغباء

رُدَّ عَنِّي يَا لَيْلٍ دَعَوَاهُ . إِنِّي كَدْتُ مِنْ لَوْمَةٍ أَحْطَمُ نَائِي
لُغَةُ الدَّمْعِ فِي سَمَاءٍ مِنَ الْعِصْمَةِ عَزَّتْ مَشَاعِرَ الْأَغْبِيَاءِ
حَبَسَتْ وَحْيَهَا عَنِ الْعَقْلِ إِلَّا حِينَ تَسْمُو مَلَا حِينَ الشُّعْرَاءِ !

هَاتِ يَا لَيْلٍ مِنْ أَغَانِيكَ وَامْلَأْ نَفْسِي بِالْخَوَاطِرِ الْهَوَّجَاءِ
أَنَا فِي غَارِكَ الْمَغْلَفِ بِالْظُلْمَةِ أَسْيَانُ مُثْقَلٌ بِالشَّقَاءِ
حِكْمَةٌ فِي دُجَاكَ أَنْ كَرَهَا الْعَقْلُ فَلَاذَتْ بِالصَّمْتِ وَالْإِنْزَوَاءِ
سَمِعْتُ أَرْغُنَ اللَّيَالِي فَهَامَتْ مِنْ صَدَاهُ بِنَعْمَةٍ خَرَسَاءِ
هَوَّمَتْ فِي الْفَوَادِ تُزْجِيهِ لِلْحَيَاةِ رِقَّةٌ وَالسَّحَرِ وَالْأَسَى وَالْعَنَاءِ
وَاسِ يَا لَيْلٍ جُرْحَهُ فَلَقَدْ طَالَ أَسَاهُ بِرَبْقَةِ الْأَذْوَاءِ
أَنْتَ بَحْرُ الْحَيَاةِ يَا لَيْلٍ كَمْ فِيكَ أَهَاوِيلُ مِنْ صُرُوفِ الْقَضَاءِ !
كَمْ غَرِيقَ بَيْمِكَ الْأَسْوَدِ الصَّاءِ خَبِ أَدَتُهُ صُرْعَةُ الْأَنْوَاءِ
صَفَعَتْهُ عَنِيفَةً مِنْ كِفُوفِ الدَّاءِ هَرَفَانِحُطَّ فِي مَهَاوِي الْبَلَاءِ
وَسَبَّوْحَ عَلَى مَتُونِكَ مَجْدُو دَرٍ تَخَطَّتْهُ هَيْجَةُ الدَّأْمَاءِ !
قَدْ ضَمَمْتَ الْأَكْوَانَ تَحْتَ جَنَاحِ يَمِينِكَ سَوَاءٍ فِي جُنْحِ هَذَا الْعَمَاءِ
هُوَ ذَا الْكُوخِ رَازِحٌ تَحْتَ أَثْقَالِكَ وَهَنَانُ كَالضَّرِيرِ الْمُسَاءِ

حاك من سدلك الكحيل غطاءً وارتعى جاثياً يبطن العراء
 عابرٌ في حماك شفت مطايا هُشجون السرى وبرح الحفاء
 لم يجد راحماً يواسيه في البلد — وى وينسيه مضّة الإنضاء
 فتغافى من الضنى ينشد الرحمة مة والصفو في اخیال النائی
 رجفت شمعة بجنبیه تهفو في دُجاء كالمقلة العشاء
 خنق الليل نورها خنقة البؤس س لأرواح أهلها التعماء
 فرنت للقصور غيرى شجاها أخيل من لواظ الكهرباء
 سادِرٌ في البروج كاد من الفتنة — يرقى إلى بروج السماء
 لقي الليل حتفه حين وافا ه طريداً معرّساً في الخلاء
 فتوى في التخوم كاهم ألقى رحله صوب هالة من صفاء
 ودنا الفجر في غلائله البی — ض شفیف الأهاب نضر الرواء
 يسكب النور في العيون. ولكن أين للروح ومضّة من سناء؟
 أين فجر الجنان؟ يا فجر هدّهد نعماتي، ولا تضیع ندائی...



الشعرة الهاربة !!..

«لحقتها فجاءة على معصمى هاربة من
ذوائب الملهمة فكانت وحي هذا النشيد»

أَتَيْتِ لِي حَيْرِي كَقَلْبِي الشَّقِي؟
اللَّهُ فِي مَوْكِهَا الْمُؤْنِقُ !
خَمَرًا لَغَيْرِ الرُّوحِ لَمْ تُخْلَقِ
وَمِنْ شَذَى أَنْسَامِهِ الرِّيقُ
رِيًّا بَغِيرِ الطُّهْرِ لَمْ تَسْتَقِ
مُحَجَّبَ التَّلْمَاحِ وَالْمَشْرِقِ
عُلْيَا لَغَيْرِ الْحَبِّ لَمْ تُخَفِّقِ !
تَنْدَى عَلَى جَدْوَلِهِ الرِّيقُ
مِنْ هَالَةٍ سِحْرِيَةِ الرُّوْنَقِ ..
وَضَعْنَا الْحَبَّ عَلَى مَرْفَقِ؛
فَكَيْفَ فِي نَجْوَاهُ لَمْ تُحْرِقِ !؟

مِنْ أَى تَاجٍ طَاهِرٍ الْمَفْرَقِ
فَارَقْتَ عَرْشَ النُّورِ فِي سِحْرَةٍ
فَجَرَّ نَهْلَتُ الْوَصْلِ فِي ظِلِّهِ
أَنْدَى عَلَى قَلْبِي مِنْ رَوْحِهِ
مَعْصُورَةٌ مِنْ كَرَمَةٍ فِي الرُّؤْيِ
قَبْلَ انْبِشَاقِ النُّورِ كَانَتْ سَنًا
وَنِعْمَةً تَشْدُو عَلَى ضَوْئِهِ
يَا زَهْرَةً كَانَتْ بَوَادِي الْهَوَى
شَرَابُهَا النُّورُ إِذَا مَا ارْتَوَتْ
لَمَّا احْتَوَانَا الْوَجْدُ فِي سَاعِدِ
كُنَّا سَعِيرًا خَالِدًا فِي الْهَوَى

عَهِلُ الرِّيفِ !

[الشَّوْر]

فِي جَوْقَةٍ لِلرِّيفِ يَعْرِفُ عُودُهَا
وَيَرِنُ فِي سَمْعِ الضُّحَى تَغْرِيدُهَا
قَبَسَتْ مِنَ الْأَطْيَارِ رَقَّةً شَدَّوْهَا
وَأَعَارَهَا سِحْرَ الصَّدَى غَرَّيدُهَا
وَتَرَنَّمَتْ بَيْنَ الْحُقُولِ قَصِيدَةً
عَذْرَاءَ مِنْ نَعَمِ السَّمَاءِ نَشِيدُهَا
تَشْدُو فِيصْنِي الصَّمْتِ مِنْ وَلَعٍ بِهَا
وَيَكَادُ مِنْ طَرَبِ السُّكُونِ يُعِيدُهَا
ثَاوٍ هُنَالِكَ كَبَلَّتْهُ يَدُ الْأَسَى
وَتَنَنَتْهُ عَنْ عَبَثِ الْمِرَاحِ قُيُودُهَا
شَيْخٌ أَصَمُّ تَكَنَّفَتْ أَطْرَافُهُ
سَوْدَاءَ مَنْ صُلْبُ الزَّمَانِ حَدِيدُهَا

أَحْكَامُ ذَلِّ لُحْنٍ فَوْقَ جَبِينِهِ
سُوداً تَكْتُمُ بِالسَّيِّاطِ وَعِيدُهَا
سَجَنَتُهُ فِي رَحْبِ الْفَضَاءِ ، وَخَلَدَتْ
آذَانَهُ رَهْنَ الْحِبَالِ جُدُودُهَا
عُكَّازُهُ سَوْطٌ تَلْهَبُ فَوْقَهُ
نَاراً يَشْبُ عَلَى حَشَاهُ وَقُودُهَا
رَقَمَتْ عَلَى أَضْلَاعِهِ أُسْطُورَةٌ
دُفِنَتْ بِأَسْرَارِ الدَّهْورِ عُيُودُهَا
أَسْطَارُ مَظْلَمَةٍ !! وَآيَةُ ذِلَّةٍ !!
أَعْيَا فَلَاسِفَةَ الْوَرَى تَرْدِيدُهَا
لَوْ أَلْهَمَتْ سِحْرَ الْبَيَانِ لَمَّا شَدَا
إِلَّا بِفَلَسَفَةِ السَّيِّاطِ قَصِيدُهَا :

صَرَخَتْ نَوَاعِيرُ الرَّبِّ لِإِسَارِهِ
وَتَفَجَّعَتْ أَسْفَاً عَلَيْهِ كُبُودُهَا

فانسابَ فيضُ عيونها، وتفجَّرتْ
 دمعاً من البلوى لَدَيْهِ مَهْودُها
 عَجَباً لِنَاحَةِ عَلَيْهِ !! لو أَنَّها
 تبكى لَصُمَّ الصخرُ ذابَ جَلِيدُها
 وهي الَّتِي أَلْقَتْهُ في كَنَفِ الضَّيِّ
 ورماء في العَدَمِ المهينِ وُجودُها!

عَيْنَاهُ غُلْفَتَا فَمَاتَ سِنَاهُمَا
 في ضَحْوَةٍ رَفَّتْ عَلَيْهِ بُرودُها
 وَأَزَاهِرُ البُسْتَانِ تَرَنُّو حَوْلَهُ
 مُتَفَتِّحًا يَحْسُو الضَّيَّا أُمْلودُها
 مِنْ نُورِهِ المَكْبُوتِ أَشْرَقَ نُورُها
 فَاهْتَزَّ في الأَلَقِ المنضَّرِ عودُها
 وَشَدَا الحَنَانُ المُرُّ مِنْ دُؤْلَابِهِ
 فَتَرَاقَصَتْ فوق المَرُوجِ قُدودُها

ولو أنها علمت أساه لصوحت
وذوى له ريجانها ووُرْدُها !

يا ثور ! كيف غزت أسواط الوري
وتقطعت في جانبك جلودها ؟

مردت على كتفك محراباً .. إذا
صلت به يفرى حشاك سجودها
وكأنما نشقت بجلدك فوحة

من رُوحها الفاني ، فجئن ورِيدُها (١)
شربت دماءك خمرة وتصايحت
سكري تخبط هائماً عزِيدُها

يهني فتحسب حين يصطخب الصدى
جنناً تفزع في الفلاة شريدُها !

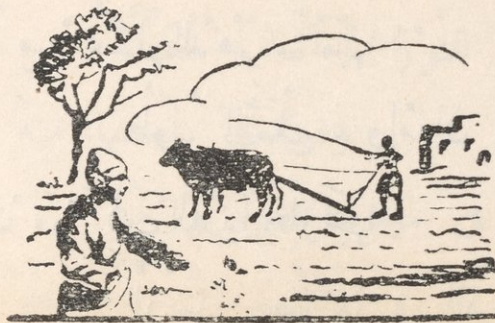
(١) إيماء إلى انجذاب الشيء لأصله .

« آيس ! »^(١) أَيْ سُرِيرَةٍ بَلَاءٍ فِي
 عِطْفِيكَ قَدْ أَعْيَا الْحِجَا مَعْقُودُهَا !
 حُمِلْتَ مِنْ « هُوروس »^(٢) أَقْدَمَ آيَةٍ
 عُبِدَتْ وَقُدِّسَ فِي حِمَاكَ عَهْدُهَا
 أَذْكَى لَهَا الْكَهَّانَ نَارَ بَخُورِهِمْ
 فِي « مَنَف » يَسْتَطِيعُ فِي الْمَعَابِدِ عُودُهَا
 أَرْوَاحُ ضُلَّالٍ حَبِيتَكَ رَشَادَهَا
 وَجِئْتَ لَدَيْكَ عَلَى التُّرَابِ وَفُودُهَا
 بِذَلِكَ تَقْدِيسَ النُّهْيِ ، وَلَوْ أَنَّهُ
 لِلصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ رِيْعَ صَلَودُهَا
 عِبْدَتِكَ أَبْلَهَ لَا تَعَى ! يَا ضَلَّةً
 لَوْ تَسْتَطِيعُ ذَرَا هَذَاكَ جُحُودُهَا !

-
- (٢) اسم العجل الذي عبده الفراعين قديماً
 (٣) في أساطير الفراعنة أن « هورس » هذا هو الإله الذي
 حملت روحه في « آيس » .

يا حِكْمَةُ في رَوْقِكَ العاني ! كَبَا
في العقل ناهضُها . وطاشَ سَديدها
زَعْموكَ تحملُ أرضهم . . ولو انْهَأَ
عَقَلْتُ ، تَمِيدُ وِهادها وَنُجودُها !
.....

ما العاهلُ الجَبَّارُ مَنْ ذا دَوْلَةٍ
وُقِفَتْ على ذُلِّ العبياد جُهودُها
هوَأَنْتَ !! مَنْ جَعَلَ المَروجَ خَمَائِلًا
عَيْدَانَةً يَسْبِي النفوسَ شُهودُها
في كُلِّ حَقْلٍ من جِهَادِكَ آيَةٍ
يَضْفُو على الرِّيفِ الشَّقَى خُلودُها !



من مخرج عبقر...

« الى روح المتنبى »

مِنْ مَارُ جَنَّ بَيْتِهِ الْكَوْنُ مَفْقُودُ
تَصَرَّعَتْ بَعْدَ مَا غَابَ الْأَنَاشِيدُ
مُعَلَّفٌ فِي جُيُوبِ الْغَيْبِ ، لَيْجٌ بِهِ
فِي سِرْمَدٍ مِنْ ظِلَالِ الْمَوْتِ تَخْلِيدُ
تَسَاءَلَتْ عَنْهُ أَرْوَاحُ الْفَلَآ ، وَمَضَتْ
تَضِجُ مِنْ وَحْشَةٍ فِيهَا الْجَلَامِيدُ
وَأَسْبَلَ النَّجْمُ أَجْفَانًا مُحِيرَةً
أَمْضَاهَا مِنْ عَذَابِ الْبَيْنِ تَسْهِيدُ
مَطْرُوفَةٌ مِنْ غُبَارِ الدَّهْرِ ، أَتَعَبَهَا
طُولُ التَّمَلُّى ، وَإِمْعَانُ ، وَتَفْنِيدُ
تَرَصَّدَتْ مَوْكِبَ الدُّنْيَا ، فَأَزْعَجَهَا
أَنْ شَلَّ خُطْوَتَهَا فِي الذَّرِّ تَأْيِيدُ

فَأَرَعَشَتْ فِي الدُّجَى أَهْدَابَهَا خَبَلًا
كَأَنَّهَا غَابَ فِي سَوْدَائِهَا عُودٌ !
وَصَنَاعَفَتْ عِلَّةَ الْأَنْسَامِ سَفَرْتُهَا
جَوَابَةً . . حَظُّهَا فِي السَّيْرِ مَنْكُودُ
تَمَرُّ بِالْدهْرِ حَيْرَى . . مَا يُهَامِسُهُ
إِلَّا وَيُرْمِضُهَا مِنْ فِيهِ تَنْكِيدُ
تَقُولُ : هَذَا عَجِيجُ اللَّحْنِ مُحْتَدِمُ
تَرْنُ فِي جَرَسِهِ السَّارَى الْأَغَارِيدُ
وَأَيْنَ - يَا زَهْرُ - نَأَى كَانَ مُلْهَمُهُ
مَا أَسْكَرَ الْكَوْنُ مِنْ نَجْوَاهُ تَرِيدُ
هَذَا النَّشِيدُ فَمُ الدُّنْيَا يُرَدِّدُهُ
فَأَيْنَ مِنْ سِحْرِهِ الْقِيَارُ وَالْعُودُ ؟
فَطَرَحَ النَّوْرُ أَكْمَامًا مُجَبَّلَةً
وَقَصَّفَتْ نَفْسَهَا مِنْهُ الْأُمَالِيدُ
وَذَابَ فِي مَهْدِهِ عِطْرٌ يُورِّجُهُ
وَغَابَ مِنْ خَدِّهِ سِحْرٌ وَتَوَرِيدُ

وَاهْتَزَّ هَزَّةً أَوَّاهٍ يُرَّحُّهُ
 فِي سَوْرَةِ الذِّكْرِ إِيْمَانٌ وَتَوْحِيدٌ
 وَقَالَ: كَمْ مَرَّتِ الْأَجْيَالُ عَابِرَةً
 وَلَحْنُهُ فِي فَمِ الْأَجْيَالِ غَرِيدٌ
 لَكِنَّهَا وَجِمَتْ مِثْلِي — وَقَدْ سُلِّتْ —
 وَغَالِ تَبْيَانَهَا عِيٌّ وَتَبْلِيدٌ !
 وَإِذْ بِعَاصِفَةٍ هَوَّجَاءَ قَدْ صَعِقَتْ
 لِهَوْلِهَا الْجَنُّ ، وَالْأَطَامُ ، وَالْبَيْدُ
 كَأَنَّهَا هَيْجَةُ الْأَقْدَارِ ، مُذْ عَصَفَتْ
 مَا طَاقَهَا فِي شِعَابِ الْأَرْضِ مَوْجُودُ
 مِنْ مَرَجٍ (عَبَقَرٍ) قَدْ هَبَّتْ مُجَلَّجَلَةً
 كَأَنَّهَا مِنْ عَتَاةِ الْجَنِّ تَهْدِيدُ
 فِي قَلْبِهَا نَغَمٌ . . . إِنْ رَقَّ ؛ تَحْسَبُهُ
 تَأْوِيَةً رَدَّهَا فِي اللَّيْلِ مَعْمُودُ
 وَإِنْ قَسَا ، فَقُلُوبُ النَّاسِ وَاجِفَةٌ
 وَالْأَرْضُ لَاهِفَةٌ ، وَالْكَوْنُ رَعِيدُ

أَلَقْتُ عَلَى الزَّمَنِ المَجْنُونِ حِكْمَتَهَا
فَرَاخَ يُهْدِي بِهَا شَيْخٌ وَمَوْلُودُ
وَأُطْرِبْتُ مِسْمَعَ الدُّنْيَا بِنِعْمَتِهَا
كَأَنَّمَا نَفَخَ المِزْمَارَ « دَاوُدُ »
تَلَقَّنُ الفِرْقَ الهَيَّابَ سَوْرَتَهَا
فِيغْتَدِي وَهُوَ فِي الهَيْجَاءِ صَنِيدُ
صَهْبَاءٍ مَا جَاوَرَتْ كَأْسَاءَ وَلَا شُرِبَتْ !
وَلَا اسْتَقَلَّ بِهَا فِي الكَرَمِ عُقُودُ
مَا زَالَ نَدْمَانِهَا حَيْرَانٌ تَكْرُبُهُ
ضَلَالَةٌ عَنْ مَجَانِيهَا وَتَشْرِيدُ
حَتَّى أَتَى « حَلَبَ » الشَّهْبَاءَ مُنْتَشِيًا
وَجَسْمُهُ مِنْ ضَنَى التَّسْيَارِ مَهْدُودُ
فِرَاعُهُ مَا رَأَى مِنْ سِجَرٍ مَشْهَدِهَا ..
الْخَمْرُ أَخِيلَةٌ ، وَالْعَقْلُ رَاقُودُ
وَمِزْهَرُ « الْمُتَنَبِّيِّ » عَازِفٌ هَزِجُ
مُعَلَّقٌ بِأَوَاسِي النَّجْمِ مَشْدُودُ

يُفَجِّرُ اللَّحْنَ إِمَّا رَنَّ صَادِحُهُ
خَرَّتْ عَلَى وَجْهِهَا مِنْ سِحْرِهِ الصَّيِّدُ ..
فَزَمَزَمَتْ شَفَتَاهُ بُرْهَةً ، وَمَضَى
وَالْقَلْبُ مِنْ سَكَرَاتِ اللَّحْنِ مَفْثُودٌ
يقول : لا تَحْشِدُوا عِيداً لَذِكْرَتِهِ
فَكُلَّ لَحْنٍ شَدَا مِنْ نَائِيهِ عِيدٌ !

إلى دُخَانِ الكُوخِ !

أَتُرَى أَنْتَ عَلَى الْأُفُقِ لَهَيْبٌ أَمْ دُخَانُ !
أَمْ جِرَاحُ الكُوخِ سَجَّاهَا مِنَ الْبُؤْسِ الزَّمَانُ
أَمْ دَمُوعُ الشَّاءِ وَالرُّعْيَانِ أَذْرَاهَا الْهَوَانُ ؟
أَمْ شَجُونُ الْفَأْسِ أَبْلَاهَا الضُّعْفُ الْخَدَثَانُ ؟
أَمْ هِيَ الْقَرْيَةُ لَمْ يَخْفِقْ لِبُلُوَاهَا جَنَانُ ؟
زَفَرَتْ فِي الْجَوِّ تَكْلَى لَمْ يُصَابِرْهَا الْحَنَانُ
فَهِيَ جُرُوحٌ .. وَدُخَانُ الكُوخِ بِالشَّكْوَى لِسَانُ !



مَنْ عَلَّمَ الْبَحْرَ لَجَاجَ الْهَوَى
 وَأَتْرَعَ الْحَبَّ بِشُطَّانِهِ ؟
 وَقَالَ لِلْمَوْجَةِ : خَمْرُ الصَّبَا
 صَافٍ ، فَعَبَّيْ الْكَأْسَ مِنْ حَانِهِ ؟
 وَأَنْشِدِي فِي الشَّطِّ أَغْنِيَّةً
 أَوْدَعَهَا النَّأْيُ بِالْحَنَانِ ؟
 حُورِيَّةٌ صَوَّرَهَا سَاحِرٌ
 مِنْ رَوْعَةِ السَّحَرِ وَسُلْطَانِهِ
 لَوْ شَامَهَا قَسٌّ بِمِخْرَابِهِ
 يَذَوِّبُ الرُّوحَ لِقُرْبَانِهِ ،

لأحرق القلب بخوراً لها
وأشعل النار بصلبانها !
عريانة قدت مسوح الصبا
من بهجة الفجر وألوانه
لم ترض بالدياج سترها
مهفف الطرف بقمصانه
فهللت أسداها في الضحى
ورفرت طيراً بدستانه
أندى على الأرواح من نسمة
فيحاء يذكىها بريحانه !
سارت إلى البحر وفي هوها
ما يضرم النار بقيعانه
ظمأى إظمان هفت مثاماً
يهفو حشا الطير لغذرائه
يا فتية رقت على فتنة
كالعرف إذ رف بعيدانه

مَكَلَبَتْ رُشْدًا الْبَحْرَ حَتَّى غَوَى
وَأَذْهَلَ الْعَقْلَ بَطْغِيَانِهِ
هَذَا الَّذِي جَرَّدَتْهُ لَلْسَنَّا
يَعِيسُ كَالزَّهْرِ بِأَفْنَانِهِ ،
فَضِيحَةُ الْحَسَنِ أَتَيْتْ لَنَا
مَنْ شَطَطَ الْغَرْبَ وَكُفْرَانِهِ
جِسْمُهُ لَوْ أَنَّ الرُّوحَ أَلْقَتْ لَهُ
زِمَامَهَا ، فَرًّا لَأَكْفَانِهِ
خَزْيَانُ مَزَقَتْ ثِقَابَ الْحَيَا
مِنْ كُلِّ مَسْتَوْرٍ بُجْثَمَانِهِ
يُرْعِشُهُ الْخِزْيُ إِذَا مَا انْبَرَى
فِي لَهْوِهِ الْعَارِي وَتَفْنَانِهِ
فِيحْسَبُ النَّاطِرُ مِنْ فِتْنَةٍ
كَهَرَبَةٍ تَجْرِي بِسَيْقَانِهِ ا

يَا بَدْعَةَ الشَّطِّ سَلَبْتَ الْهُدَى
مِنْ كَيْلٍ مَعْصُومٍ بِإِيْمَانِهِ

لَوْلَا جَلَالُ الْفَنِّ فِي بُهْرَةِ
لِلْحُسْنِ أَصْلَاتِي بِنِيرَانِهِ ،

أَلْهَبْتُ فِي شَعْرِي سَعِيرَ الْأَظْيِ
وَرُحْتُ أَصْلِيكَ بِأَوْزَانِهِ

أَوْ أَلْهَمَ الْبَحْرُ مِسَاسَ الْحِجَابِ
لَاغْرُقَ الْبَرَّ بِطُوفَانِهِ

وَلَمْ يَدَعْ فِي غَمْرِهِ سَابِحاً
يُصَافِحُ الْمَوْجَ بِشُطَّانِهِ !!



ضجة الروح... في يوم (عيد)!!

يا فرحة العيدِ مالي لا يساورني
لديك إلا أسى في القلب موارٍ!
لو أن دمع اليتامى فيك كَأْسُ طَلٍّ
حسوته نهلةً بالروح تشكارُ
لم يكفني مدمعي أجرى سواكبه
همُّ أناخ على جنبٍ جبارُ
ترصد الروح أنى خالسته طغى
ولفها منه طيَّ البؤس إعصارُ
مسكينة أنت ياروحي افما اتأدت
عنك الليالى ولا أعفك مقدارُ
تزاومت حولك الأحزان عاصفةً
إذا وني كدره، هدتك أقدارُ

صَبِيَّةٌ فِي الشَّبَابِ الْغَضُّ مَا أَثِمَتْ
يَوْمًا، وَلَا مَسَّهَا رِجْسٌ وَلَا عَارٌ
قَدْ شَيَّبَتْهَا الرَّزَايَا السُّودَ جَمَعَهَا
لَوْمُ الزَّمَانِ .. وَأَهْوَالِ .. وَأَقْدَارِ
لَا تَسْأَلُ الشَّعْرَ عَنْهَا فَهِيَ مَلْحَمَةٌ
مِنَ الْأَسَى غَلَفَتْ مَعْنَاهُ أَسْرَارُ ..
صُوفِيَّةٌ شَرَدَتْ فِي الصَّمْتِ حِكْمَتَهَا
فَمَا تَفِيدُ أَنْشِيدُ وَأَشْعَارُ ؟
رَأَيْتَهَا فِي ظِلَالِ (الْعِيدِ) قَدْ خَنَقَتْ
صَفَاءَهَا مِنْ كَثِيفِ الْهَمِّ أَسْتَارُ
تَسِيرُ فِي ضَجَّةِ الْأَفْرَاحِ وَاجِمَةً
يَلْهَوُ بِهَا مِنْ حَفِيفِ الدَّمْعِ إِسْرَارُ
كَأَنَّهَا مَيَّتٌ فِي الْبَيْدِ مُطَرِّحُ
تَصَابَحَتْ حَوْلَهُ بِاللَّحْنِ أَطْيَارُ !

«خمسٌ وعِشرون»^(١) في البَلَوَى تَقَطَّعُنِي
كما يَقَطُّعُ لَحْمَ الشَّاةِ جَزَارُ
لا لَوْعَتِي هَدَأَتْ فِيهَا ! ولا كَبِدِي
خَبَتُ بِالْأُفَافِهَا مِنْ حُرْقَتِي نَارُ !
تَصَرَّعْتُ فِي أَنَا شَيْدِ الضَّنَى عَمِيًّا
كَأَنَّ عُمُرِي مَزَامِيرٌ وَأَوْتَارُ !

(١) عاما



الى سحرة... القصر!

« عصفت بقلب الشاعر عاصفة من
الوجد الصارخ عقب فراق مفاجئ، نكب به
منذ عامين . . فاستجالت حياته إلى جحيم من
العذاب النفسى ، والقلق الممض ! . . وقد
نزع به الحنين - يوما - إلى قصر عذرائه
الملهمة . . حيث مهد غرامه ، وشط إلهامه ،
فسبق الشمس إلى أستاره فى الصباح بنظرات
مشدوهة . . وروح شارد فوقف لحظة ثم
عاد بهذه الدموع المشتعلة التى سكب نارها فى
هذه المناجاة ! ! »

يا زهرتى! طلع الصِّباحُ وفى فمى
نغمٌ ينوحُ ، فهل سمعتِ نواحَهُ ؟
ما زال يصرخُ فى الفضاء ، فلم يجدْ
شفقةً تُناغمُ لحنه وضدادهُ
أسيانَ مُختَبِلِ النشيدِ أذابه
مِنْ خَافِقٍ دَفَنَ الزَّمانَ مِراحَهُ

قلبٌ كعصفور الأراكّة ذيدَ عن
عُشِّ الصِّبَا، والسَّجْنِ شَلَّ جناحَهُ
جَرَّحَتِهِ بِالْهَجْرِ . . . ثُمَّ تَرَكْتَهُ
مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا أَسَوْتَ جِرَاحَهُ !
كَمْ رَتَلَ أَسْمَاكَ - خَاشِعًا - فَكَأَنَّهُ
(مُوسَى) يَرْنُمُ فِي الدُّجَى أَلْوَاحَهُ
الْهَجْرُ عَذْبُهُ وَأَذْبَلُ رُوحَهُ
وَالْفَكْرُ غَيْبٌ فِي الْأَسَى أَفْرَاحَهُ
وَبَكَى وَنُوحٌ فِي الظَّلَامِ، فَمَا أَسَا
قَلْبُ الْحَيِيبِ بُكَاءَهُ وَنِيَاحَهُ !
حَجَبُوكِ .. هَلْ حَجَبُوا سَنَاكَ مُفَجَّرًا
كَالْتَّبَعِ يَسْكَبُ فِي الْحِشَا تَلْمَاحَهُ ؟
حَجَبُوكِ .. هَلْ حَجَبُوا عَيْرَكَ عَنْ دَمِي
رَيَّانَ يَذُكِي فِي الْفُؤَادِ نَفَاحَهُ ؟
حَجَبُوكِ .. هَلْ حَجَبُوا أَسْمِدَكَ عَنْ فَمِي
لَهْفَانَ خَلَّدَ فِي الْهَوَى تَصَدَّاحَهُ ؟

حَجَبُوكِ .. هل حَجَبُوا نَفَاثَةَ عَاشِقٍ
أُضْرَى الْغَرَامُ جِلَادَهُ وَكَفَاحَهُ ؟
مُتَوَلِّعٌ بِهَوَاكِ مَا أُغْرَى بِهِ
بَيْنَ ، وَلَا فَلَ الْفِرَاقُ سِلَاحَهُ
وَإِنِّي بِرُؤُوجِكَ فِي الصَّبَاحِ فَلَجَّ فِي
ظِلْمِ النَّوَى ، وَبَكَى الْحَزِينُ صَبَاحَهُ
لَمْ يَلْقَ إِلَّا ظِلْمَةً مَشْبُوبَةً
وَسَنًا تَخَطَفَتْ الدُّجَى لِمَاحَهُ
يَا لَيْلَهُ أَتَرَعُ لَوَاعِجَ قَلْبِهِ !
حَدَّثَ عَنْ الْخَفَقَاتِ يَا مِصْبَاحَهُ !
لَمْ يُبْقَ مِنْهُ الْحُبُّ إِلَّا آهَةً
مُجْنُونَةٌ الْحَرَكَاتِ تَقْلُقُ سَاحَهُ
وَقَصِيدَةً هَزَّتْ مَلَا حِنَاهَا الدُّجَى
وَمَحَتْ رُؤَاهُ ، وَفَزَعَتْ أَشْبَاحَهُ !

ظنّوا غرامِي فيكَ لهُيَّةَ ساخرِ
يُلْقَى على الزَّمن الضَّحُوكَ مزاحَهُ
فَتَنُوكَ عن نظري وخلقوا مُهْجَةً
حَيْرِي ، يَجْرَعُهَا الهَوَى أَتْرَاحَهُ
كالطَّائرِ المنبُودِ في قُبِّ الفلا
يَذْرى الهَجِيرُ بِسَاحِهَا أَرْوَاحَهُ
وَأنا الَّذِي سَأْظَلُّ بِأَسْمِكَ هَاتِفًا
حَتَّى يَمُدَّ المَوْتُ نَحْوِي رَاحَهُ ١
لَا تَحْسَبِي النِّسْيَانَ يَلْمَسُ عَابِدًا
خَنَقَ التَّأَوُّهِ وَالْأَنِينُ سَراحَهُ
إِنْ كَانَ زَوْرَقَ عَيْلَمٍ مَتَوَثِّبٍ ،
لَجَعَلْتُ قَلْبِي فِي الهَوَى مَلاحَهُ
وَحَطَمْتُهُ ! وَهَزَمْتُ صَاحِبَ يَمِهِ !
وَدَفَنْتُ فِي قَبْرِ الخِيَالِ رِياحَهُ !!

دُنْيَا أَدْمُوع وَمَاتِم

« إلى الذين لا تشجيمهم تأوهات
العاشقين . . . »

حَزِينٌ؟ أَجَلٌ.. وَالْحُزْنُ أَضْحَى مُنَادِي
فَدُنْيَايَ دُنْيَا أَدْمُوعٍ وَمَاتِمٍ !
يَقُولُونَ : سَوَّدْتَ الْأَغَانِي وَبَشَّرَهَا
وَأَصْبَحْتَ تَهْدِي بِاللُّحُونِ الْقَوَاتِمِ
خِيَالِكَ أَضْحَى ظِلْمَةً سَرْمَدِيَّةً
تَرَامَتْ عَلَى لَيْلٍ مِنَ الْبُؤْسِ فَاحِمِ
وَشِعْرُكَ هَدَّاهُ الْمَآسَى ، وَسَوَّدَتْ
أَغَارِيدَهُ فِي الْحُبِّ بَيْضُ الْمَعَاصِمِ ..
تَضِجُ عَلَى أَنِّي تَجَافَتِكَ فِي الْهَوَى
وَتَبْكِي بَدْمُوعٍ مِنْ أَسَى الشَّوْقِ عَارِمِ ؟
وَتُقْنِي شَبَابًا فِي الْغَرَامِ وَذُلَّهُ
وَشَكْوَاهُ مِنْ سِحْرِ الْعُيُونِ النَّوَائِمِ ؟

وَتُصْبِحُ فِي الْأَكْوَانِ سُخْرِيَّةَ الْوَرَى
هَضِيمَ الْحَوَاشِي ! مُسْتَخَفَّ الْمَعَالِمِ !
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا تَكْثُرُوا اللَّوْمَ إِنِّي
تَحَيَّرْتُ فِي كَوْنِ عَجِيبِ الْمَظَالِمِ :
شَقِيتُ بِحُبِّي وَهُوَ عَفٌّ مُطَهَّرٌ
وغيري سعيدٌ في الهوى بالمآثم !
تَعَلَّقْتُهَا عِذْرَاءَ يَنْدَى حَدِيثِهَا
صَفَاءً تَجَلَّى مِنْ عَفِيفِ الْمَبَاسِمِ
هِيَ النُّورُ . . أَوْ فِي النُّورِ مِنْهَا أَلَاقَةٌ
هِيَ السَّرُّ يَضْوَى فِي غُيُوبِ الطَّلَاسِمِ
إِذَا نَظَرْتَ . . فَاحْبِسْ بِخَوْرِكَ دُونَهَا
فَقَدْ سَحَرْتَ سِحْرَ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ !
تَلَقَّيْتُ مِنْهَا وَحْيَ شَعْرَى سَامِيَا
وَأُهِمَّتْ مِنْهَا خَالِدَاتِ الْمَلَا حِمِ
وَلَمَّا تَلَا فِينَا وَكَادَ صَفَاؤُنَا
يُرْفَهُ مِنْ وَجْدِ الْقُلُوبِ الْهَوَائِمِ ،

تَصَاوَحَتِ الْعِيدَانُ فِي جَنَّةِ الْهَوَى
وَجَافَى رَفِيقُ اللَّحْنِ عُشَّ الْحَمَائِمِ
وَبُدِّلَتْ الْأَنْسَامُ بَيْنَ أَرَكَهَا
فَحَيَّحَ أَعَاصِيرُ ، وَلَفَحَ سَمَائِمِ
كَأَنَّ اخْتِلَاجَ النُّورِ فَوْقَ حُطَامِهَا
مِنَ الْأَلْقِ الْخَاكِ تَهَاوِيلُ وَاهِمِ ..
وَعَيْسَانَةُ الْأَفْيَاءِ ، وَهَنَانَةُ الصَّبَا
مُشَرَّدَةُ الْأَطْيَابِ ، رِيًّا لِلنَّسَائِمِ
سَأَلَتْ رَبَّاهَا : أَيْنَ بُلْبُلُكَ الَّذِي
تَغْنَى طَوِيلًا فِي الْمُرُوجِ النَّوَاسِمِ ؟
فَاطْرَقَتِ الْأَغْصَانُ حُزْنًا ، وَأَصْبَحَتْ
كَمُرْتَبِكٍ مِنْ حَيْرَةِ الْفِكْرِ وَاجِمِ
وَقَالَتْ : بَعِيدٌ عَنْ ظِلَالِي مَكَانُهُ
هُنَاكَ عَلَى صُمِّ الصُّخُورِ الصَّلَادِمِ
بِفَيْفَاءٍ مَلَّ الصَّمْتُ فِيهَا مُقَامَهُ
نَسِيلَ الْخَوَافِي ، مُسْتَهَاضَ الْقَوَادِمِ

تُمَزَّقُ أَرْوَاحُ الْهَجِيرِ شِغَافَهُ
وَتُصَلِّيهِ مِنْ أَفْحِ السَّوَافِي بِجَاحِمِ
وَكَمْ نَعْمَةٍ بَيْنَ الْحَشَا رَامَ عَزَفَهَا
فَظَلَّتْ كَوَهْمٍ فِي الْحَنِيَّاتِ جَائِمِ !
وَتَأْوِيهِةٍ فِي اللَّيْلِ سَوْدَاءَ مُرَّةٍ
تُفَزِّعُ فِي قَلْبِ الدُّجَى كُلَّ نَائِمِ
بِرَاهَا كَمَا تَبْرَى مَا قِيَهُ دَمْعَهَا
وَسَارَ كَمُخْبُولٍ عَلَى الْأَرْضِ هَائِمِ !
هُوَ الصَّبُّ يَا عَذْرَاءُ شَابَتْ هُمُومُهُ
وَلَمْ يَحْظَ مِنْ دُنْيَاهُ يَوْمًا بِرَاحِمِ
بَكَيْنَا .. فَلَا الدُّنْيَا أَطْلَتْ لِدَمْعِنَا
عَشِيَّةَ أُسْرَى فِي الْجَفُونِ السَّوَاحِمِ
وَنُحْنَا .. فَمَا رَقَّتْ لَنَا عَيْنُ كَائِنِ
وَلَا أُسَيْتْ شَجْوًا قُلُوبُ الْعَوَالِمِ
كَأَنَّا بِتِلْكَ الْأَرْضِ أَنْفَاسُ وَاحِدَةٍ
جَفَا نَبْعَهَا خَفَقَ الطُّيُورُ الْحَوَائِمِ !



« هاجني الحنين إلى صوتها الوداع الذي
طلما ارتشت من همسه راحة العمر ولذة
الحياة . . . فلم يلهني صخب الدنيا عن صداها
الذي ظل يرفرف على روحي ويموج في
حواسي . . . حتى ذاب منه هذا اللحن الملوغ
الحزين !! »

لَحْنٌ يُغَمِّمُ فِي صَدْرِي فَيُشْجِنِي
وَيَسْكِبُ النِّعْمَةَ الْخَيْرَى فَيُمَكِّنِي
وَإِنِّي مِنَ الْغَيْبِ عُلُوِي الصَّدَى ، فَسَمَتُ
طُيُوفَهُ الْبَيْضُ عَنْ عَزْفِي وَتَلَحَّنِي
شَقَّ الْأَثِيرِ مِنَ الْمَاضِي ، وَنَاغَمَنِي
بِمِزْهَرٍ كَاسَفِ الرَّنَاتِ مُحْزُونِ

على مشانيه أرواحٌ مَجْنَحَةٌ
تطلُّ من خاطري الدامي تَحْيِينِي
رَفَّتْ عَلَى فَمِهَا الْمَسْحُورِ أَغْنِيَةٌ
حَزِينَةٌ صرخت شوقاً لمحزونٍ
قَدْسِيَّةٌ حَمَلَتْ مِنْ ثَغْرِ فَاتَنِي
صَوْتًا مِنَ الذِّكْرِ الْأَوَّلِي يناديني
وَهْنَانٌ مِنْ فَدْحَةِ الْآلَامِ مُخْتَقٌ
مَجْرَحُ اللَّحْنِ ، مَكْبُوحُ الْأَرَانِينِ
سَأْمَانٌ مِنْ طَوْلِ مَا أَضْنَتْهُ غُرْبَتُهُ
عَنْ مِسْمَعِ لَصْدَى نَجْوَاهُ مَرْهُونِ
لَهْفَانُ ! يَخْفِقُ فِي قَلْبِي فَيَصْدَعُهُ
وَيُلْهَبُ الْوَجْدَ فِي رُوحِي فِيَضِينِي
يَمِئْتَنِي إِنْ جَفَتْ أَصْدَاؤُهُ خَلْدِي
فَإِنْ خَفَقْنَ عَلَى الْأَحْشَاءِ يُحْيِينِي
نَائٍ وَلَا صَافِرٌ فِي الصَّمْتِ يَنْفِخُهُ
لَكِنَّ رَنَاتِهِ فِي الْقَلْبِ تُصْبِينِي

وَمِزْهَرٌ غَابَ شَادِيهِ وَخَلْفِي
وَنَعْمَةٌ فِي الصَّدَى بَاتَتْ تَسْلِينِي
وَعَازِفٌ فِي ضَمِيرِي مُلْهِمٌ غَرْدُ
مَا شَدَّ أَوْتَارَهُ يَوْمًا لَتَلْجِينِ
تَظَلُّ أَسْجَاعُهُ فِي الشَّجْوِ تَنْشُرْنِي
وَنَبْرُهَا فِي عَذَابِ الْحَبِّ يَطْوِينِي
إِذَا شَدَا فَدَعِ الدُّنْيَا وَضَجَّتْهَا
وَأَسْمَعُ - فِدَيْتُكَ - قُمْرَى الْبَسَاتِينِ
وَإِنْ تَهَامَسَ فِي صَدْرِي حَسِبْتُ بِهِ
وَحِيًّا مِنَ اللَّهِ فِي الْبَلَوَى يُعْزِّنِي !

هُوَ الْهُوَى يَا « ابْنَةُ الْبُسْفُورِ » ! عَلَّمَنِي
حُزْنَ الشَّكَاكِ ، وَأَوْهَامَ الْمَجَانِينِ
عَيْشِي بِهِ آهَةٌ فِي صَدْرٍ مُبْتَسِيٍّ
وَدَمْعَةٌ تَلْتَضِي فِي جَفْنِ مِسْكِينِ

وثورةً في حنايا الصبِّ صاحبةً
حرى توهج من حينٍ إلى حينٍ !
ماذا جنيتُ وروحي في طهارتها
أزكى لحبك من طيب الرياحين ؟
نسختُ حسنك روحاً سامياً ألقاً
وكنيت كالنَّاسِ من ماءٍ ومن طين !
وظللتُ ابلى شبابي في صيانتِه
وأنتِ بالهجر والتعذيب تُبليني !
خلدتهُ بأغاريدي ورُحْتُ به
ازهى على كلِّ فتانٍ ومفتون
فلا عذارى بلادى هجن من غزلى
إيماءةً عن سنا عينيكَ تُلهيني
وهنَّ والحسنُ لا غاو ولا دنسُ
كلؤلؤ في شطوط النيل مكنون ..
و(الكوخ) أهديتهُ سحراً ومعجزةً
لعلَّ قصرِكَ باللقيا يُهاديني

فما وَفَيْتِ ! ولا مَهْدُ الغرام رثى
 لشاعر بالهوى العُذرى مجنون !
 لو كنتُ أَهْدَيْتَهُ للنجم من قَلَقِي
 خُرَّ من بُرجِه العالى يُوَاسِدُنِي !
 أو كنتُ أَهْدَيْتَهُ للصَّخِرِ من ظمئِي
 لفجَّر السلسلَ الرِّقراقَ يروِينِي !
 أو كنتُ أَهْدَيْتَهُ للـكُونِ من شَجَنِ
 حارَ دَمْعَةٍ مَفْجُوعٍ تُوَاسِدُنِي !

يا صَوْتَهَا فى ضَمِيرِي .. طُفْ بِسَاحَتِهَا
 وقل : لَأَيَّةِ أُذُنٍ رَحِمَتْ تَلْقِيَنِي ؟ !
 هَذِي المِسامِعُ آثَامٌ مَغْدُفَةٌ
 وَخَدَعَةٌ ذَهَبَتْ بِالصَّمْتِ تُغْوِينِي
 أَقْصَيْتَنِي عَنِ مَلَكٍ كَانَ يَعْبُدُنِي
 وَلَذَتْ بِي بَيْنَ اسْمَاعِ الشَّيَاطِينِ
 وَكَنتُ فِي فَمِ الصَّدَاحِ غُنُوتُهُ
 فَمَنْ عَلَى البَعْدِ يَا وَيْلَى يُغْنِيَنِي ؟ !

الصاحب المجنون

لقد طال في صمت الليالي نداؤه
لمن نوحه تحت الدجى وبُكاؤه ؟ !
حزينٌ ذوى في الهمّ ضوءٌ شبابه
ومات على هول المآسى بهاءه
جريحٌ أضلَّ الطبَّ سرُّ جراحه
فيارحمته ياربُّ ! أين دواؤه ؟
شريدٌ ترمى في الحياة مضيئاً
فما عيشه فوق الثرى وبقاؤه
يسيرُ على التُّرب الممين تخاله
من التُّرب ذراً لا يقرُّ هبأؤه
تباغته الأنواء من كلِّ وجهة
فيشتدُّ في عصف الرياح بلاؤه

لَعِينِيكَ يَا عَذْرَاءَ غَنَى ، فَضِيعَتُ
أَنَاشِيدُهُ بَيْنَ الْأَسَى وَغَنَاؤُهُ
أَتَاكَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَفِيِّ كَأَنَّهُ
مِنَ الْغَيْبِ وَحْيٌ أَنْزَلَتْهُ سَمَاوُهُ
عَلَى فَمِهِ اغْرُودَةُ عِبْقَرِيَّةٍ
وَفِي قَلْبِهِ نَوْرٌ تَجَلَّى سَنَاوُهُ
وَفِي الرُّوحِ إلهَامٌ مِنَ الْحُبِّ خَالِدٍ
لذَاتِكَ أَضْفَى طَهْرُهُ وَصَفَاؤُهُ
ضَرَاعَاتُ مَعْمُودٍ إِذَا الْقَلْبُ نَصَّهَا
يَفِضُ عَلَى سُودِ اللَّيَالِي ضِيَاؤُهُ
مَجْمَعَةٌ مِنْ كُلِّ سِرٍّ مُحَجَّبٍ
تَغْلَغَلُ فِي قَلْبِ الْوُجُودِ خَفَاؤُهُ :
مِنَ الْحُلُمِ الْبَسَامِ فِي هَالَةِ الرُّؤْيِ
يَرِفُ عَلَى دُنْيَا الْحَزِينِ رَوَاؤُهُ
مِنَ السَّخَرَةِ الْفِيحَاءِ تَنْدَى رَبَاتِهَا
بَوَادٍ عَلَى شَطِّ الْخُلُودِ ثَوَاؤُهُ

من الجدول الرقراق في ظلم الضحى
يعانقُ أفياء الخميلاتِ مائه
من الدَّعواتِ البيض في ثغرسا جد
إلى الله يرقى في الصلاة دُعاؤه
من الزهر غيسانا ، من العطر نافجا
من الرِّيفِ وسنان المروج مساؤه
قبستُ أغاريد الهوى من حشاشتي
وغنيتُ ، علَّ القلب يدنو رجاؤه
فماذا جنى المهجور من خفقاته ؟
لقد زاد في ظلِّ التَّغنى شقاؤه !
مُنْجَاتُهُ للناس أضحَتْ تسليًا
وسخريةً أودت بها كبرياؤه
وأضحى بها جرحاً إلى القبر سائراً
على يدك البيضاء يُرجى شفاؤه

تعالى إليه ، وانظري جثة الهوى
يسيرُ بها والليل داجٍ رداؤه !
مُضْمَخَةٌ بالدمع من فيض ما ذرأ
تفجعه طول النوى وبكاؤه
أما كيبُ من نبع الحشاقد تفجرت
لهيباً بأعصابي سرت كهر باؤه
تكفنها الأطراسُ ممّا نفثته
موائق حبٍّ هاجمٍ جفاؤه
يُحوّ من كالغربانٍ فوق رفاته
وينعنّ عهد الحب مات هناؤه
يسيرُ بها حيران اللفان ! جازعاً !
محطّمه كربُ الردى وعناؤه
ويصخبُ كالمجنون في كل خطوة
فيقلق سماع العابرين هذاؤه
وفي عينه من طول ما بكت الهوى
ذُبالة نورٍ ليج فيها عماؤه

وفي الصدر مذبح تُغنى جراحه
وتصرخ من يؤس الليالي دِماؤه
فؤاده كأنَّ الله سَوَّى شغافه
من الدَّمع والآهات .. جفَّ ذِماؤه
لغيرك لم يُخلق ، ولكنَّ عبْرَةً
على الدهر أنْ يبقى لديكِ فِناؤه !

تعالى إليه واترُكى الكونَ ساخرًا
فقد عزَّ في دُنْيا البرايا وفِناؤه
تعالى إليه قبلَ أنْ يغربَ السَّنا
ويُصبحَ وادى الحُبِّ قفراً فِضاؤه
فلا مزهرٌ شادٍ ! ولا عازفٌ شَجٍ !
ولا عاشقٌ يهفو إليكِ نداؤه !
تُنادِين .. لا السلوانُ يرحمُ مرَّةً
نِداكِ ، ولا المقدورُ يأتي عِزاؤه
يرُدُّ الصَّدَى النَّدْمَانُ منك مُجاوبًا !
هناك على شطِّ الفناء لِقاؤه !

أَسْرَى فِيهِ أَنْ تَمُوتَ (الهُوَى)

« . . . وقد تنفست سجيناً القصر بعد
صمت طويل سائلة عما فعل صرف النوى
بعهدا القديم فحقق لها القلب بهذا النشيد »

سَلَسِلِي لَحْنَكَ الْجَرِيحَ ! وَهَاتِي
رَجْعَ فَيْشَارَتِي ، وَنَجْوَى صَلَاتِي . .
طَالَ شَدْوَى حِيَالٍ قَصْرِكَ شَمُوقًا
فَاهْتَكِي السَّتْرَ ، وَارْحَمِي خَفَقَاتِي
وَانْظُرِي جَذْوَةَ الْهُوَى فِي خِيَالِي
وَشُحُوبَ الْفَنَاءِ فِي نَظْرَاتِي
وَتَهَاوِيلَ مِنْ بَقَايَا جُنُونٍ
خَلَفَتْهَا الْأَحْزَانُ فَوْقَ سِمَاتِي
وَبَرِيقًا مِنْ الشَّبَابِ الْمُؤَلَّى
كَهَشِيمِ الرِّيحَانِ فَوْقَ الرُّفَاتِ

وخيوط المني على صفحة القلْد
ب كاطياف غيِّمة في فلاة
مُنيَّة أزهقت ! وأخرى تعايا
والبقايا في الصدر مُنتحرات ! ..

هيكل من فواجع الكون ثاو
بين كهف مجنَّح الظلمات
الأفاعي رُهبانهُ ، وصدى البؤ—
م هُتاف الرُهبان في الصَّلوات
ورياح الدُّجى تزف حوَالَيْهِ
هـ ، وتنعي في صمته مَعُولَاتِ
نَبَذَتُهُ الأقدارُ في وحشة البَيِّ
دِ أنيس الصُّخُور في الفلوات
صمته ضجَّة ! ونجواه صمت !
يا لهول الضجيج بين الصَّمات !

ورؤاهُ في الليل موكبُ جنٍّ
غَطَّ من فِدْحَةِ السُّرَى في سُبُاتِ
مَنْ يَرَاهُ يَرَى بَقِيَّةَ نَحْسِ
أَفَلَمْتُ مَنْ حُظُوْظِهِ العَاثِرَاتِ
جَائِمٌ في التُّرَابِ .. كَالْأَمَلِ الْخَا -

تُبِ في خَاطِرِ ذِيحِ الشَّكَاةِ !
كَالشَّجَى في اللِّهَامَةِ ! كَالهَمِّ في المَهْمِ
جَعَةٍ ! كَالْمَوْتِ في رَيْعِ الْحَيَاةِ !
كَرِمَامِ الْقُبُورِ ! كَالْبَيْدَرِ الْمَهْمِ
جَوْرٍ ! كَالرَّجْسِ في جُنُوبِ الْعُصَاةِ !
كَحَفِيفِ الظَّلَامِ في أُذُنِ الْغَا -

ب ، كَأَثَمِ يَطِيفُ عِنْدَ الصَّلَاةِ !
كَوُرُودِ الْخَرِيفِ مَاتَتْ عَلَى الْإِيْ
كَ وَمَاتِ الشَّمْدَى عَلَى الْوَرَقَاتِ !
كَرَفَاتِ الْأَحْلَامِ في عَالَمِ النَّسْ
يَاكِ ضَاعَتْ بِظِلِّهِ أُمْنِيَاتِي !

كأنينِ الغريبِ في وحشةِ اللَّيْلِ
 لـ ! كَلَطُمِ النَّوَادِبِ الثَّاكِلَاتِ !
 كَفَحَيِّجٍ يُرِيقُ سِمَمَ المَنَايَا
 نَفَخَتُهُ الحَيَّاتُ فِي الكِسِرَاتِ !
 كَنَشِيحِ الأَيْتَامِ مَلُؤُوا مِنَ الدَّمِّ
 عِـ وَمَالُوا بِرَعْشَةِ الآهَاتِ !
 كَخِيَالِ النَّدْمَانِ ! كَالنَّغَمِ الحَيِّ
 رَانَ دَسْتُ رَيْنَهْ أَيْبَاتِي !
 كِدُخَانِ الأَكْوَاخِ تَنْفُخُهُ الرِّيبُ
 حُ فَيَفَنِّي فِي ظِلْمَةِ الأُمُسيَاتِ !
 كَحَنُوطِ الأَكْفَانِ فِي جَدَثِ زَفٍّ —
 تْ عَلَيْهِ نَوَائِحُ هَبَّةِ السَّافِيَاتِ !
 كَجِبِينِ المَشْنُوقِ خَطٌّ عَلَيْهِ المَـ
 وَتُ أَسْطَارَ عُمْرِهِ النَّحِيسَاتِ !
 هَكَذَا صِرْتُ بَعْدَ مَا غَبَّتْ عَنِّي
 فِي الأَسَى والنُّحُوسِ ضَاعَتْ حَيَاتِي !..

كان شعري على يدك عيبراً
سكبتهُ روائح الجنات
طيبه للقلوب فوحه خلد
نسمتها الغيوب في صدحاتي
قبست وهلة السنن من ربي النير
ل شعث بها من الأنيات
ورأت في المروج طلسن سحر
ظل مستغلقاً لكل حصاة
ففضت سره بسحرك لحناً
رددته هواتف الرايات
وهو اليوم زورق من خيال
حطمته ثوائر العاصفات
ما للملاحه سوى صرخة اليا
س يدوي بها لشط النجاة
وأعاليه من وميض على الأفق
ق هفت من طيوفه المظلمات

كلما آذنت . . يرد سناها
 قبس من شعاع عينيك آت
 قترى هداة الردى في حواشيه
 هـ وظل الحياة في القسمات
 ساعفيه بلمحة تمنعش الرو
 ح ، وتلهيه عن كروب الممات
 وسمعيه بين الماسي يعني
 بلحون صواخب والهات ..
 جدولى لم يزل يصفق للحـ
 بـ وتهفو بشطه قبراتى
 والصبابات ما يزلن محومـ
 نـ فيكرين علة النسمات
 والأغاريد مثلما كن بالأمـ
 سـ يهازجن بلبل الربوات
 والصباح الحزين لا زال سكرًا
 نـ بخمر الأحلام والصبوات

والضحى شاعرٌ تهيأ للوح
ى فأصغى وقال للنأي : هات !
هات لي قصة الهوى والأمانى
وليالى غرامى الفانيات
وأذيتها فى النور... وأبعث صداها
فى الروانى ملاحناً خالداً
وكؤوس الهوى ظوام إلينا
يتنظرون عودنا مترعات
وأنا خاشعٌ هنالك فى الأيـ
ك كمستغفر جثا فى صلاة
أتحسى شذاك من سجوة الظـ
ل وأقتات مزرعج الذكريات
وأنادى .. فيخفق الحزن صوتى
وتموت الأصداء طى لهاتى
وأرى رسمك الحبيب مطلاً
من سمائى وجدولى ورباتى

مطرقاً في السَّنا كزنبقة الصَّيِّفِ
ف! كطيفِ الغريبِ في المرآة ..

أسرعى قبلما تَغيبُ الأمانى
في دُخانِ الهُمومِ والحسراتِ
وتَصيرينِ في الهوى قصَّةَ الغدِّ
ر ، وأسطورةً على نغماتي
أسرعى قبل أن تموتَ الأغاني
فتناجيكِ بعدها مرثيائي !!



إِلَى قَلْبِي الْعَلِيل !!

يَا شَاكِيًّا مِنْ فَدْحَةِ الْأَلَمِ
وَالطَّبِّ عَنْ شَكْوَاهُ فِي صَمَمٍ -
هَلَّا وَقَفْتَ بِهَا - لَتُسْعِدَنِي
مِنْ ضُرِّهَا - فِي شَاطِئِ الْعَدَمِ !
أَضْوَيْتَنِي حَتَّى ذَبُلْتُ أَسَى
وَشَرِبْتُ كَأْسَ الذَّلِّ مِنْ سَقَمِي
شَاهَ الشَّيَابِ وَحَالَ رَيْقُهُ
فِي عَابِسٍ بِالْهَمِّ مُرْتَطِمٍ -
وَالنَّاسُ . . لَا نَاسَ إِذَا خَلَجَتْ
عَيْنِي . . كَأَنِّي فِي الْحَيَاةِ عَمٍ !
صَدَفُوا عَنِ الشَّكْوَى ، فَلَا أَدُنْ
تُصَغِّي لِمَا رَتَّلْتُ مِنْ نَغَمِي
حَسِبُوا أَنِينَ الْقَلْبِ فِلْسَفَةً
عَبَثَتْ بِهَا أَنْشُودَةُ الْقَلَمِ -

فَتَغَافِلُوا عَنِّي ، وَلَوْ عَلِمُوا
شَرِبُوا صُبَابَ الدَّمْعِ مِنْ أَلْمَى !

وَجَعَّ بِقَلْبِي شَلَّ دَوْرَتُهُ
لَوْلَا حَرَكَ هَفٍّ مِنْ قَدَمِي
كَالطَّائِرِ الْمَذْبُوحِ مُنْتَفِضًا
خَفَقَانُهُ فِي جَانِبِ الظُّلُمِ
قَلِقُ الْمَهَادِ ، كَأَنَّ مَهْجَتَهُ
مِنْ رِيْقَةِ الْأَفْعَى تَعَبُ دَمِي
أَوْ أَنَّهُ إِثْمٌ يُقْلَبُّ بِهِ
وَحْزُ الضَّمِيرِ بَوْقِدَةِ النَّدَمِ
إِمَّا شَكْوَتْ جِرَاحَهُ وَهَنًا
مَاتَتْ شَكَاةُ الْقَلْبِ طَى فَمَى ...

يَا مِحْنَةً فَتَكَتِ بِرَاحَتِهِ
فَتَكَ اللَّاطِي بِالْيَابِسِ الْحُطَمِ

هَذَا الْعَلِيلُ بِأَضْلَعِي دِنْفُ
لَهْفَانُ يَرْزَحُ فِي ضَنْيَ عَمَمٍ
كَمْ ثَوْرَةٍ لِلْحُبِّ جَائِحَةٌ
طَاحَتْ بِهِ فِي سَاعِرِ الضَّرَمِ
وَدِفِينَةٍ أَبْلَتْ لِفَائِفَهُ
مَنْ كُلَّ خَافِي الْبُؤْسِ مُسَكِّتَمِ
مَشْغُوفَةٍ بِصِبَاهُ تَأْكُلُهُ
بِالْحَزَنِ أَكَلَ الْجَائِعِ النَّهَمِ
جَعَلَتْ سَرَائِرُهُ لَهَا طَلَقًا
تَقْتَاتُ مِنْ جَنَابَاتِهِ بَدَمِي
يَا مُلْهِمِي الشُّكُورِي مُعَذِّبِي
بِفَوَاتِكِ الْأَحْزَانِ وَالسَّقَمِ
شَكَاوَاكَ يَا مُسَكِّنِي نَبْرُ شَجِي
بَلَعَتْ صِدَاهُ سُدْفَةُ الظُّلَمِ
هِيَ خَفَقَةُ الْمَزْمَارِ طِيرَهَا
بَدَدًا مَعَ الْأَرْوَاحِ وَالسُّدُمِ

أَنَا

« . . إلى التي حملت لي الأسلاك
شدوها بأغاريدي . . وعتابها الغامض
على صمتي ! ! »

أيها الصَّوْتُ ! مَنْ وَرَاءِ الْغُيُوبِ
كَيْفَ هَيَّجْتَ مَزْهَرِي لِلنَّحِيبِ ؟
أَنْتَ أَشْعَلْتَ مَاضِيًا مَرْقَ الرَّوْ—
حَ وَأُلْقَى حُطَامُهَا فِي اللَّهْيَبِ
أَنْتَ عَاتَبْتَنِي عَلَى الصَّمْتِ . . فَاسْمَعْ
نَغَمَاتِ الْجِرَاحِ تَحْتَ الْجُنُوبِ
لَا تَلْمُنِي فَإِنَّ صَمْتِي شِعْرٌ
أَلْبَسْتَهُ الْأَيَّامُ ذُلَّ الْغَرِيبِ
أَنَا هَمْسٌ يَمُوتُ فِي قَلْبِ نَائِ
نَبْذَتِهِ الرِّيحُ خَلْفَ الْكُثِيبِ
أَنَا تَرْنِيمَةُ الْحَزَانِ ! أَنَا الْيَتِيمُ
— هُمْ ! أَنَا الشَّجْوُ ذَائِبًا فِي الْقُلُوبِ

أَنَا حَظُّ التُّرَابِ مِنْ مَوْكَبِ الدُّنَى
يَا! وَفِي الْقَبْرِ ذُرَّةٌ مِنْ نَصِيبي
أَنَا نُوحُ الْمَظْلُومِ بَيْنَ زَحَامِ الدَّاءِ
هَرَّ يَدْعُو وَمَالَهُ مِنْ مُجِيبِ
أَنَا جُرْحٌ يَدِبُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ
ض ، وَقَدْ مَلَّ عَائِدِي وَطَيْبِي
أَنَا زَهْرُ النُّعُوشِ مَاتَ عَبِيرِي
وَعَدَّتْ بَهْجَتِي رَمَادَ الْخُطُوبِ !
أَنَا صَمْتُ الْكَهُوفِ يَهْتَزُّ لِلْوَحْيِ
سَي إِذَا هَلَّ فِي السُّكُونِ الرَّهِيْبِ
أَنَا فَنٌّ مُعْطَلٌّ مَسْجُوتُهُ
ثَوْرَةُ الْحَبِّ فِي الْغَرَامِ الْكَثِيبِ ..
فَأَعِيدِي الْحَدِيثَ يَا جَارَةَ السَّدِّ
لَكَ وَنُوحِي لِعَاشِقٍ مَكْرُوبِ
أَنَا إِثْمٌ .. وَالْحُبُّ غُفْرَانُ ذَنْبِي
فَاسْأَلِيهِ عِلَامَ يَنْسَى ذُنُوبِي !!

حينَ أطرقتِ ...

« لفها صمت عميق في مساء يوم من أيام
اللقاء ، فبدت في حالة من الجمال الحزين . .
أشبه ما تكون بأغنية سماوية على شفة ملاك
نائم !! »

أطرقت كالخيال في خاطري السَّاءَ جِي، وكالنبَّيع في الظلال الحزينة
تَمَلَّى في صمتها.. ذاتَ جَفَنٍ شاعرٍ في الدجى يُواسي شُجونَه
أطرقت يا لَكُرْبَةَ النَّاي من يَدٍ كي هَوَاهُ؟ ومن يُناغى لِحُونَه؟
من يُواسيه إن طغَت ثورَةُ القَدِّ بَ فهاجَت لها الهمومُ الدَّفينَة
من له؟ آه! من لأنغامه السَّوِّ دِ إذا شَبَّتْ اللَّيالي أُنينَه؟
كم شدا في ظلالها ناعِمَ اللَّحْنِ ، وألقى على يَدَيها رنينَه!
ناغماً بالهوى كَقُمُريَّةِ الفَجْرِ ، طَرُوباً كالنَّحْلَةِ المَفْتُونَه!
ما لَهُ عادَها فصَدَّتْ أمانِيهـ وظلَّتْ في الصَّمتِ وَلَهَى حَزِينَه

طرقتِ في الظلام كالأبد الوَسْـنانِ ما فرَّتِ الدياجي سِينينَه

صَمْتُهُ الْغَيْبُ غَلَّقَتْهُ يَدُ اللَّهِ ، وَأَخْفَتِ عَنِ الْعُقُولِ كَمِينَهُ
مِثْلَ رِيحَانَةِ الْمَسَاءِ جَفَاها نَسَمٌ مِنْهُ ، فَاسْتَطَابَتْ سَكُونَهُ
يَعْبُقُ الْمَرْجُ فِي الدَّجَى مِنْ شَذَاها وَهِيَ وَسْنَى بَيْنَ الرَّوَابِي سَجِينَهُ !

إِيَّاهُ مَنْ تُلْهِمُ الْأَغَارِيدَ ، تَنْدَى مِنْ صَفَاءٍ .. يَا بَوْسَ مَنْ تُلْهِمِينَهُ !
ظَمَى النَّأْيُ لِلتَّغْنَى . فَهَاتِي الْكَأْسَ ، وَارْوِي لِبَاعَهُ وَحَنِينَهُ
أَنْتِ فِي الصَّمْتِ آيَةٌ فَجَّرَ اللَّهُ عَلَيْهَا مِنَ الْجَلَالِ مَعِينَهُ
فَاصْمُتِي أَوْ فَعَاوِدِي الصَّبَّ بِالسَّحَرِ ! وَنَاغِي هَيْأَمَهُ وَفُتُونَهُ
بَدَتْ شَعْرٌ عَلَى جَبِينِكَ غَافَ أَيْقَظَ الصَّمْتُ سِرَّهُ وَفُتُونَهُ
وَفُؤَادِي الَّذِي تَكْشِفُ نَجْوَاهُ ، وَذَرِّي عَلَى الْخِيَالِ دَفِينَهُ ..
وَعَلَى الْأَعْيُنِ السَّوَاجِي صَلَاةً أَنَا مِنْهَا فِي خَشْعَةٍ وَسَكِينَهُ
مَا لِنِسَاءٍ كَهَا وَجُودٌ ! وَلَكِنْ عَابِدُ الْحُسْنِ - وَحْدَهُ - تَعْرِفِينَهُ
وَعَلَى الصَّدْرِ هَزْزَةٌ جَاوَبَتْهَا ضَجَّةٌ فِي مَشَاعِرِي مَجْنُونَهُ
خَلَّتْ مِنْهَا وَزَفْرَةُ الصَّمْتِ تَغْلَى نَارَ زَقٍّ مِنَ الْأَسَى تَنْفُخِينَهُ
وَعَلَى الشَّجَرِ جَدُولٌ مِنْ أَغَانٍ آهَ لَوْ فِي جَوَانِحِي تَسْكِينَهُ !
نَشَرْتُ مَهْجَتِي الْقَلَاعَ عَلَى شَطِّ يَهْ - شَوْقًا - فَرَحْمَتًا لِلْسَفِينَةِ

لم تجد مرثياً لديه سوى الصمة — ت ، وشط مغيب ترقبينه
 وظلال وراء كون بعيد — فجّر الصمت في رباها عيونه
 طيرها نام في رفات الأغاني — بعدما أسكر التغي غصونه
 فلأي من الضفاف سيمضي — ساح في هوالك لا ترحمينه !
 قد هجرت الخيال والشعر والصمة — مت .. وخلفت ناره وجنونه
 وامحى كوكبك المجسم .. إلا — قدس من صباة تشهينه
 رحت تذكته من النظر السأ — هي وفي معبد الهوى تضرمينه !
 رحمة بالحبيب ياهالة الوحى — وزنى ضياك يسنى عيونه
 وابسمى ! أوتكلمى الاوان شئ — ت فلحظاً على دمي تشرينه
 ينشر السحر والهوى والأمانى — فوق دنيا بخاطرى محزونه
 أو فصمتاً ورفرف حول روحى — واسكبي الوحى في ظلال السكينة
 أنت نسيتنى هدوئى فى الكو — خ وأفانيت لى ضجيج المدينة
 وجعلت الأكو ان لحناً خفياً — لبت - يالوعة المي - تعزفينه !
 وترى مات فى يدى حنيناً — وغليل الهيام أبلى متونه
 فابشيه من البلى يتغنى — مثلاً كنت دائماً تسمعينه
 لفظة منك فتنة وحياة — تمهادى بها الأغاني السجينة

أَنْتِ يَا سُلُوتِي عَلَى نَكَدِ الدُّنْيَا ، وَصَفْوَى عَلَى اللَّيَالِي الْحَزِينَةِ
 شَابَ عَمْرِي وَلَاتَ .. وَالرُّوحُ أَضْحَتْ مِنْ أَسَاهَا يَتِيمَةً مِسْكِينَةً
 وَالرِّزَايَا أَقْمَنَ عُرْسًا لِحُطَّى لَا تَمْنَيْتُ مَرَّةً تَشْهَدِينَهُ !
 أَتَعَايَا بِشَقْوَتِي ! وَالْمَزَامِيرُ — رُبَّكَفَى شَقِيَّةً مُوْهُونَةً
 يَتَسَلَّى بِنَا الْوَجُودُ . وَلَكِنْ سُلُوءَةُ الذَّنْبِ بِالشَّيْءِ السَّمِينَةِ
 وَنُغْنِيَةِ مُلْهِمِينَ حَيَارَى بَيْنَ رَجَسٍ ، وَغَفْلَةٍ ، وَضَغِينَةٍ
 فَأَعْذُرْنِي إِذَا أَلَحَّتْ بِي النَّجْوَى لَصُوتٍ مُقَدَّسٍ تَكْتُمِينَهُ
 فَأَنَا ظَالِمٌ .. وَصَوْتُكَ لِلرُّوحِ عَبِيرٌ تَذِيعُهُ يَا سَمِينَةَ

إِلَى مَوْسَى النَّمُوسِ !

أَبْعَثِي اللَّحْنَ يَدْوِي كَيْفَمَا شِئْتَ وَشَاءَ
 لَنْ تَرَى فِي الْأَرْضِ سَمْعًا يَشْتَهِي هَذَا الْغِنَاءَ
 غَيْرَ سَمْعِي فَهُوَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي دُنْيَا فَنَاءٍ .
 قَدْ تَقَاسَمْنَا بِهَا فِي الْعَيْشِ حَظَّ التَّعَسُّاءِ
 أَنْتِ فِي الْمَوْكَبِ خَرَسًا كَدَمَعَ الْغُرْبَاءُ
 وَأَنَا فِي عَالَمِي الطَّيْنِ ذَرْءٌ فِي هَبَاءِ
 هَزَجِي صَمَتٌ ! وَتَرْنِي لَغْوٌ فِي الْفَضَاءِ !

[الغراب]



أَشِيخٌ مِّنَ الْأَزْمَانِ وَالنَّاسِ سَاخِرٌ
لِهَوْلِ الَّذِي كَابَدَتْ . أَمْ أَنْتَ طَائِرُ ؟

تَطِيرَ مِنْكَ الْعَالَمُونَ فَأَرْجَفُوا
بِنَحْسِكَ ، حَتَّى قِيلَ : بِالْحُظِّ كَافِرُ !
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ مَنْ يَرَاكَ ، كَأَنَّمَا
أَحْسَتْ دَيْبَ الْمَوْتِ فِيهِ الْمَشَاعِرُ
وَمَنْ يَهْجُرُ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ ضَيْفَهَا
وَأَنْتَ بِهَذَا الْكَوْنِ سَامَانُ هَاجِرُ
تُطِلُّ بِعَيْنٍ مِلْؤُهَا السُّخْرُ بِالْوَرَى
وَأُخْرَى بِهَا لِلنَّاسِ لُحْظٌ مُحَازِرُ
وَتَسْتَشْرِفُ الْوُدْيَانَ ... لَا قَلْبُكَ ارْتَوَى
هُدُوءًا ، وَلَا اهْتَزَّتْ لَدَيْكَ الْمَخَاضِرُ
وَلَا جَادَكَ الْفَيْءُ الظِّلِيلُ بِجَوْسَةٍ
تَقْرَأُ بِهَا عَيْنٌ ، وَيَهْدَأُ خَاطِرُ
وَلَا الْمَرْجُ حَيَّاكَ الْغَدَاةَ بِأَيْكَةٍ
تُرَوِّحُ فِيهَا عَنْ شَجَاكَ الْأَزَاهِرُ
وَلَا نَلْتَ رِزْقًا لَمْ يُغَيِّبْ نَعِيمَهُ
حِذَارُكَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ النُّوَاضِرُ

فَيَوْمًا مِنَ النَّاطُورِ ^(١) تَحْيَا مُفَزَّعًا
 تَمِيلُ . . . فَتَثْنِيكَ الْجُدُودُ الْعَوَاشِرُ
 ظِلَالٌ ، وَأَثْمَارٌ ، وَنَبْعٌ ، وَجَنَّةٌ
 وَصَمْتُ عَلَى الْبُسْتَانِ رِيَّانُ نَاضِرُ
 وَخَمْرٌ عَلَى شَطِّ الْكَرُومِ سَجِينَةٌ
 تَكَادُ لِنَجْوَاهَا تَهْيِجُ السَّرَائِرُ
 مُخْتَمَةٌ الْأَقْدَاحِ ، نَامَتْ غُصُونُهَا
 فَأَيْقَظُهَا زَفَزَافُ رِيحِ مُسَافِرُ
 تَحَنَّنْتُ ^(٢) دَوَالِيهَا ، وَحَنَنْتُ ظِلَالَهَا
 إِلَى رَشْفَةِ نَجْبُوَةٍ لَا تُعَاقِرُ
 وَجَنَّتْ سَوَاقِيهَا ، فَأَنْتِ ، وَأَقْسَمْتُ
 إِذَا لَمْ تَذُقْهَا لَا رَعَاهَا التَّصَابُرُ
 يَرِنُ عَلَى أَعْنََابِهَا الْفَيْحُ سَاجِعُ
 تَنَادِيهِمْ كَأْسُ الضَّحَى وَتَسَامُرُ

تَغْنَى بِهَا شَادٍ ، وَتَمْتَمَ فِي الرُّبَى
يَمَامٌ عَلَى عُنُقِودِهَا النَّضْرُ ذَاكِرٌ^(١)
كَانَ^(٢) رُبَاهَا مُرْضَعَاتٌ .. كَأَنَّمَا
عَنَاقِيدُهَا أَمْلاكَ مُهْدٍ طَوَاهِرُ
كَأَن بَشَطَ النَّيْلِ أَقْدَسَ حَانَةً
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ يَلْمَسْ بِهَا الْكَأْسُ فَاجِرُ
حُرِمْتَ طَلَاهَا .. وَانْتَشَتْ بِرَحِيقِهَا
أَبَابِيلُ^(٣) مِنْ نَحْلِ الضُّحَى وَقَنَابِرُ
وَمَا يَفْعَلُ الظَّمَانُ .. وَالنَّبْعُ سَلْسَلُ
إِذَا مَالَ وَالْحِظُّ الْمَخِيبُ عَاثِرُ ؟ !
عَيُونٌَ بِظِلِّ الْكَرَمِ يَصَاحُ أَوْشَكِتُ
تَوَاسِيكَ مِنْهَا أَدْمَعُ وَمَحَاجِرُ
وَفَرَعٌ مِنَ الْجُمَيْزِ أَطْلَسُ وَاجِمُ
حَوَاشِيهِ أَنْفَاسُ عَلَيْكَ زَوَافِرُ

(١) دائم الذكر والتسبيح (٢) أغصان الكرم

(٣) جماعات

وعقلٌ إذا ما رَفَّ سَقَطَكَ^(١)، لم يَزَلْ
 يراوِغُه طَيْفٌ مِنَ الشَّكِّ عَابِرُ
 يَهْمٌ إِلَى الْأَسْتَارِ يَكْشِفُ غَيْبَهَا
 فَيَضَعُ غَيْبَهُ عَلَى الْغَيْبِ سَاكِرُ
 وَيَمْضِي بِكِبَرٍ فِي الْحِجَا فَيَصُدُّهُ
 وَيُرْدِيهِ كِبَرٌ فِي الْمَقَادِيرِ ظَافِرُ
 فَسِرُّكَ لَوْ يَذَرِي الْأَلَى ظِلُّ رِيْشَةٍ
 بَعْشُكَ هَاجَتَهَا الرِّيحُ الزَّوَافِرُ
 وَرَقَشْتُ عَلَى الْكُشْبَانِ خَلَقْتَ رَسْمَهُ
 يَذَرِيهِ رَمْلُ الزَّعْزَعِ الْمَتَطَايِرُ
 فَطَرْتُ فِي الْبَرَارِي كَيْفَ شِئْتُ .. وَغَادِنِي
 إِذَا عُدْتُ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ نَاطِرُ
 فَمَا لَكَ غَيْرِي فِي الْبَرَايَا مَتِيْمٌ
 وَإِنْ كُنْتُ تَحْفُو عَزَايَ وَتَهَاجِرُ^(٢)

وَتَسْقِيهِ - شَانَ الْغَادِرِينَ - لِحَاجَةٍ
 وَفِي الطَّيْرِ مَا فِي النَّاسِ وَافٍ وَغَادِرٌ !
 نَهِيْقٌ وَلَغْوٌ أَعْجَمَتْ نَبْرَاتُهُ
 وَطَالَ . . وَلَمْ يَكْشِفْ خَبَايَاهُ سَاحِرٌ
 تَخَطَّاهُ أَحْقَابٌ ، وَمَرَّتْ أَدَاهِرٌ
 وَظَلَّ . . وَلَغَزٌ مِنْهُ لِلْمَكُونِ قَاهِرٌ
 فَمِنْ قَائِلٍ : بَيْنَ مُشْتٍ ، وَفُرْقَةٍ
 وَمِنْ قَائِلٍ : شَوْمٌ عَلَى الْأَرْضِ طَائِرٌ
 وَمِنْ قَائِلٍ : لَا الْبَيْنَ ! لَا الشَّوْمَ ! إِنَّمَا
 بِهَذَا الصَّدَى النَّعَابِ أَوْلَى الْمُقَابِرُ
 وَأَنْتَ - كَمَثَلِي - هَارِبٌ مِنْ فَضُولِهِمْ
 جَوَابُكَ لِلْأَكْوَانِ : إِنِّي سَاخِرٌ !
 فَدَعَهُمْ يَلُوكُونَ الْحَدِيثَ ، وَأَضْغَى لِي
 فَمَا مِنْهُمْ لِلْسَّمْعِ إِلَّا التَّهَاتُرُ
 لَهُمْ فَلَسَفَاتٌ . . أَنْتَ ضَلَلْتَ رَشْدَهَا
 بِسِرٍّ تَنَاهَتْ فِي مَدَاهِ الْخَوَاطِرُ

إِذَا أَنَا لَمْ أَكْشِفْ سَرَائِرُكَ الَّتِي
 شَدَّهْتَ بِهَا الدُّنْيَا ، فَمَا أَنَا شَاعِرٌ ! ...
 تَعَالَ فَطَارِحْنِي الْأَحَادِيثَ فِي الْوَرَى
 فَمَنْ دَهَرِهِمْ فَاضَتْ لَدَيْكَ النَّوَادِرُ
 عَبَرْتَ فِضَاءَ اللَّهِ مِنْ عَهْدِ « آدَمِ » ^(١)
 وَمَنْ قَبْلَهُ مَلَّتْ خُطَاكَ الْمَعَابِرُ
 وَجِئْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ هَادِيًا
 تُدَارِي وَتَأْسُو مَا جَنَاهُ الشَّكْرُ
 رَأَيْتَ طَرِيحًا فِي التُّرَابِ مُعْفَرًا
 تَنُوحُ عَلَيْهِ السَّافِيَاتُ الشَّوَارُ
 هُوَ الْبَذْرَةُ الْأُولَى عَلَى الشَّاطِئِ الَّذِي
 بِمَسْرَاهُ شَلَالُ الْمَنِيَّاتِ هَادِرُ

(١) إشارة إلى قوله تعالى في قصة قاييل وأخيه : « فبعث الله
 غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ، قال :
 يا ويلتنا ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي ؟ ! »

وَلِي فِيكَ دُنْيَا مِنْ خِيَالٍ بِظُلْمِهَا
زَوَارِقُ لَلشَّطِّ الْخَفِيِّ سَوَائِرُ
حَدَّثَنِي رِيحٌ مِنْ مَسَابِحِ عَبْقَرٍ
بِمِثْلِ صَدَاهَا مَا تَغْنَى مُسَافِرُ
إِلَى الْخُلْدِ أَوْ مِنْهُ تَهْبُ . . فَوَاتِنِي
بِعِلْمِكَ عَنْهَا ، إِنِّي الْيَوْمَ حَائِرُ
لَهَا الْوَحْيُ نَوْتِي ، وَظِلُّ شِرَاعِهَا
عَلَى الدَّهْرِ مَمْدُودِ التَّظَالِيلِ غَامِرُ
عَبَرْتُ بِهَا الْأَجْيَالِ أَنْشُدُ شَاطِئِي
وَدُونَ مَدَاهِ أَتَعَبَتْنِي الْأَدَاهِرُ
فِيَارَاهِبِ الْأَزْمَانِ كَشَفَ سِتُورَهَا
وَأَفْصَحَ . . فَإِنَّ الْعَقْلَ حَيْرَانُ سَادِرُ
وَدَعْنِي وَسِرًّا فِي اللَّيَالِي دَفْنَتُهُ
سَيَبْعُهُ نَائِي بِكَفِّي صَافِرُ
وَالْهَامُ شِعْرٍ بَيْنَ جَنَبِي دَافِقُ
عَلَيْهِ رَاحِقُ الْخُلْدِ سَكْرَانُ سَاكِرُ

قَتِيلٌ بِكَفَى .. رُحْتُ نَدَمَانَ فَوْقَهُ
وَكَادَتْ لِمَرَاهُ تَشَقُّ الْمَرَارُ
عَلَى التُّرْبِ عُرْيَانُ الْفَنَاءِ كَأَنَّهُ
فَنَاءٌ لِدُنْيَا الْأَدَمِيِّينَ سَافِرُ
أَكَادُ وَقَدْ كَفَنَتْهُ بِخَوَاطِرِي
- وَفِي الْكَرْبِ قَدْ تَأَسَّوْا وَتَبَرَّى الْخَوَاطِرُ -
أَفْضُ لَهُ مِنْ مُهْجَتِي سَابِرِيَّةٌ
تُغَطِّيهِ .. لَكِنِّي مِنَ الضَّعْفِ خَاسِرُ !
أُ « هَابِيلُ » ! مَا ذَنْبًا جَنَيْتُ عَلَى أَخِي ..
وَلَكِنَّ سَهْمًا أَنْفَذْتَهُ الْمَقَادِرُ
وَيَارَبُّ ! غُفْرَانَ السَّمَاءِ ، وَرَحْمَةً
وَسِتْرًا .. فَمَا لِي غَيْرُكَ الْيَوْمَ سَاتِرُ !
فِيَا كَاهِنَ الْأَيَّامِ جِئْتَ مُعَلِّمًا
« لِقَائِيلَ » .. يَقْضِي بِالذِّى أَنْتَ أَمْرُ
دُعِيتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَحْفَرُ فِي الثَّرَى
فَتَسْكُبُ نَوْرَ الرُّشْدِ مِنْكَ الْأُظَاغِرُ

تَمُرُّ بِهِ الْأَيَّامُ خَرَسَاءَ رَهْبَةً
كَمَا فِي رَحَابِ الْقُدْسِ أُطْرُقَ سَائِرُ
وَيَهْوَى بِهِ رَكْبُ الْحَيَاةِ ، كَمَا هَوَى
مَنْ الْأُفُقَ نَجْمٌ كَفَّتَهُ الدِّيَا جُرُ
هُوَ الرَّشْفَةُ الْأُولَى « لِعِزْرِيلَ » مِنْ دَمٍ
بِهِ الْأَثْمُ دَفَاقٌ مِنَ الْإِنْسِ فَأُثِرُ
هُوَ الْكَرْمَةُ الْأُولَى عَلَى مَلْعَبِ الْبَلَى
تَحْسَى حُمَيَّاها تَقَى وَفَاجِرُ
هُوَ الْمَوْتُ ! سَاقٍ فَوْقَ أَعْتَابِ حَانِهِ
سَوَاءٍ صَعَالِيكَ الْوَرَى وَالْقِيَا صِرُ
يَمُوتُ ضِيَاءُ الشَّمْسِ إِنْ مَسَّ دَنَّهُ
وَيَفْنَى الْبَلَى إِنْ لَا مَسْتَهُ الْخَفَائِرُ ..
رَأَيْتَ صَرِيحاً ذَاقَ مِنْ فِيهِ قَطْرَةً
فَنَامَ .. وَمِنْ بُلُوَاهُ « قَائِلُ » سَاهِرُ
يُنَادِي لَهُ الدُّنْيَا : تَعَالَى ! وَسَتَّرِي
مَنْ الْأَرْضِ جُرْحاً أَمْنَتْهُ الْهَوَا جُرُ

قَتِيلٌ بِكَفَى .. رُحْتُ نَدْمَانِ فَوْقَهُ
 وَكَادَتْ لِمَرَاهُ تَشَقُّ الْمَرَارُ
 عَلَى التُّرْبِ عُرْيَانُ الْفَنَاءِ كَأَنَّهُ
 فَنَاءٌ لِدُنْيَا الْأَدَمِيِّينَ سَافِرُ
 أَكَادُ وَقَدْ كَفَّنَتْهُ بِخَوَاطِرِي
 - وَفِي الْكَرْبِ قَدْ تَأَسَّوْا وَتَبَرَّى الْخَوَاطِرُ -
 أَفْضُ لَهُ مِنْ مُهْجَتِي سَابِرِيَّةٌ
 تُغَطِّيهِ .. لَكِنِّي مِنَ الضَّعْفِ خَاسِرُ !
 أ « هَابِيلُ » ! مَا ذَنْبًا جَنَيْتُ عَلَى أَخِي ..
 وَلَكِنَّ سَهْمًا أَنْفَذْتَهُ الْمَقَادِرُ
 وَيَارَبُّ ! غُفْرَانَ السَّمَاءِ ، وَرَحْمَةً
 وَسِتْرًا .. فَمَا لِي غَيْرُكَ الْيَوْمَ سَاتِرُ !
 فَيَا كَاهِنَ الْأَيَّامِ جِئْتَ مَعَالِمًا
 « لِقَابِيلَ » .. يَقْضَى بِالذِّى أَنْتَ أَمْرُ
 دُعِيتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَحْفَرُ فِي الثَّرَى
 فَتَسْكُبُ نَوْرَ الرُّشْدِ مِنْكَ الْأَظْفَرُ

نقشتَ على الكُتبانِ خطًّا تهلَّلتِ
وَقَرَّتْ لِمَرَّاهُ النُّفُوسُ الحَوَائِرُ
فَوَارَيْتَ لِلْإِنْسَانِ فِي مِثْلِهِ أَسَى
وَيَأْسًا ، وَسُوءًا مَا وَعَتْهُ الكِبَائِرُ
وَأَصْبَحَ تَابُوتَ الزَّمانِ .. ومضجعا
على مَهْدِهِ يُغْفِي الأَلَى والأَوَاخِرُ
عَشِيقَتُ كِرَاهٍ ، غَيْرَ أَنِّي أَخَافُهُ
وَأَخْشَى لَيْذَسَانِي البَلَى وأَحَاذِرُ
فَأَحْلُمُ بالدُّنْيَا كما كُنْتُ فوقها
وتفدحني منها الخطوب الجَوَائِرُ . . .

سلامًا قَسِيمِي فِي الحِظُوظِ .. وصاحبي
وقد أَرُخَصْتَ عَهْدِي القُلُوبُ الغَوَادِرُ
عَشِيقَتِكَ مُنْذُ النَّجْلِ مَدَّ ظِلَالَهُ
عَلَى .. تُغَادِينِي وَبِهِ وَتُبَاكِرُ

وَتَسْبِقُ حَبْوَ الشَّمْسِ فَوْقَ جَرِيدِهِ
لِيَخْتَلِسَ الْأَثْمَارَ فِي الرُّوضِ مَا كَرُ
وَمَذْكَانَ لِي فِي «الْكُوخِ» عَهْدٌ فَقَدْتَهُ
فَسَلَّ عَنْهُ . . . تَنْبِيكَ اللَّيَالِي الْغَوَابِرُ
صَلَاتِي بِهِ فِي سُنْبُلِ الْحَقِّ — لَمْ تَزَلْ
تَسَايِيحُهُ — تَغْذُو الْمَنَى وَتُسَامِرُ
وَنَوْحِي عَلَى الدُّوَلَابِ دَارَتْ بِشَيْخِهِ
صُرُوفُ اللَّيَالِي ، وَهُوَ فِي الذَّلِّ دَائِرُ
قَوَادِيْسُهُ تَرَوِي الرَّبِّي وَهُوَ ظَالِمِي
وَأَنَاتُهُ جَزَاعَةٌ وَهُوَ صَابِرُ
وَفِي مَرَجِهِ «الْفَلَاخُ» يَشْدُو قَنَاعَةً
وَتَشْدُو بِجَفْنِيهِ الدَّمُوعُ الْهُوَامِرُ
سَلِيبٌ مِنَ الْأَسْتَارِ إِلَّا ذَوَابَةٌ
عَلَيْهَا صُرَاخُ الْبُؤْسِ فِي الْكَوْنِ سَاعِرُ
وَفَأْسٌ بِكَفْنِيهِ يَكَادُ حَدِيدُهَا
يَسِيلُ . . . ! وَدَمْعُ الظَّالِمِينَ مُكَابِرُ

مُخَطَّطٌ فِي الْقِيَعَانِ أَسْطَارَ شَقْوَةٍ
لَهَا الظُّلْمُ وَحَى بِالرَّزِيَّاتِ هَامِرُ
قَصَائِدُ مَنْ شَعَرَ الْهَوَانَ نَشِيدُهَا
إِذَا رَنَّ مَاتَتْ فِي أَسَاها الْقِيَاثِرُ
لَهَا عَرَقَ الْمِسْكِينِ دَمْعُ أَذَالِهِ
مِنْ الْقَلْبِ ظِلَامٌ عَلَى الْأَرْضِ جَائِرُ
مَرَاتٍ أَصَمَّ النَّاسُ عَنْهَا جَنَانَهُمْ
وَرَنَّتْ بِهَا فَوْقَ السَّيَاحِ الْعَصَافِرُ
لَا قَسَمْتُ يَا شَيْخَ الْعُصُورِ تَذِيعُهَا
وَتَنَعَى بِهَا فَوْقَ السَّهْلِ وَتُجَاهِرُ
فَقَدَّ طَالَ نِسْيَانُ الْوَرَى لِأَنِيهَا
وَرَنَّتْ بِشَكْوَاهَا الطُّلُولُ الدَّوَاثِرُ ...
وَعِطْرُ لَدَيْهِ الطَّيِّبُ نَشْوَانُ ذَاهِلِ
تَجَنُّ عَلَيْهِ فِي الذُّهُولِ الْخَوَاطِرُ
عَلَى أَغْصُنِ « اللَّيْمُونِ » غَنَّى خِيَالَهُ
فَضَاعَتْ بِأَحْلَامِي لَدَيْهِ الْمَجَامِرُ

رَشَفْتُ شَذَاهُ مَرَّةً فَلَحِظْتَنِي
 فَتَيَّمْتُ إِحْسَابِي وَطَرَفُكَ نَاطِرُ
 وَأَوْشَكَتُ أَجْثُو مِنْ خُشُوعٍ، فَخِلْتَنِي
 عَدُوَّكَ ... فَازَوَرَّتْ لَدَيْكَ النَّوَاطِرُ
 وَطَرْتُ .. وَخَلَّفْتَ الْخِيَالَ وَذِكْرَةَ
 عَلَى الْعُشْبِ تُشْجِيهِ .. فَهَلْ أَنْتَ ذَا كُرُ؟!

أَحَاجِيكَ .. مَا قَسَّيْسُ دَيْرٍ مَسُوحَةٍ
 وَشَائِعُ مِنْ فَنِّ السَّمَاءِ سَوَاحِرُ؟
 تَشِيبُ إِيحَى الْأَحْقَابِ وَهِيَ شَبَابُهَا
 عَلَى الدَّهْرِ جُنْحٌ أُسْحَمُ الصَّبْغِ عَاكِرُ
 وَيَفْنَى ظِلَامُ اللَّيْلِ وَهِيَ ظِلَامُهَا
 خِضَمُّ عَلَى آبَادِهَا يَتَقَاطَرُ
 تَسَايِيحُهُ فِي الدَّيْرِ « غَاقٌ !! » وَإِنِّهَا
 لَأَسْطُورَةٌ مَجْنُونَةٌ تَهْتَاثِرُ . .

له صلواتٌ في البراري ، وعزلة
 تُسألُ عنها في الجبالِ المغاورِ
 ونوحٌ على صمت الكهوفِ كأنه
 يُؤنُّ ميمًا شـ يعمته السرارِ
 وزهدٌ على «سدر» الصحارى كأنه
 على رملها أحلامُ جنٍّ سوا كبر
 وانتمزَّ على الأكفانِ والجثثِ التي
 جفَّتْها ولم تستر رداها المقابرِ
 وحجلٌ إذا ما سارَ تحسبُ نقشه
 أنايشَ رمالٍ غزَّتْها الأعاصِرُ
 فباراهِبَ الأجيالِ إن كنتِ مثلها
 نعتك .. فليشف الغليلُ التنادرِ
 أجبني على أحجيتي .. وأحكِ مثلها
 فمن فيك يملؤي الصدى والتسامرُ ..
 فقال : أنا القسيسُ والكونُ معبدي
 وبالشرع في ديني ، البرايا كوافرُ !

فَأَنْصِتْ لِنَجْوَى الْغَدَاةِ ، لَعَلَّما
يَهْدُهُدُ جُرْحًا فِي حَشَاىِ التَّنَاطُرُ :
أَحَاجِيكَ .. مَا طِيرَ عَلَى النَّيْلِ شِمَارْدُ
جَفَفَتْهُ عِشَاشٌ فِي الْحَمَى وَمَعَابِرُ
يَرْفُ عَلَى الْأَكْوَاخِ تُدْمِي نَشِيدَهُ
أُمَاسُ صَرِيَعَاتُ الْمَنَى وَبَوَاكِرُ
تَغْنَى طَوِيلًا بِالْأَسَى فِي ظِلَالِهَا
فَقَصَّتْ بِأَنَاتِ اللَّحُونِ الْحَنَاجِرُ
وَمَالَ إِلَى دُنْيَا الْحَضَارَةِ نَجْمُهُ
فَأَشْجَتْهُ أَطْمَاعُهَا وَتَهَاسَرُ
وَقَوْمٌ عَلَى زَيْفِ الْمَنَاصِبِ حَوَّموا
وَهَاجُوا عَلَى بُهْتَانِهَا وَتَنَاحَرُوا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ جَيْشٌ - مِنَ الْبُؤْسِ وَالضَّنَى
وَهَوْلُ الْعَوَادِي - مُضْرَمُ الْقَلْبِ ثَائِرُ
فُلُولٍ مِنَ الْأَبْشَارِ سَاقِ حُطَامِهَا
وَأَغْرَقَهُ لَجٌّ مِنْ الظُّلْمِ زَاخِرُ

وَقُطْعَانُ إِنْسٍ لِلْفُجُورِ تَوَاكَبَتْ
كَمَا دَفَّ سَرْبٌ لِلْيَنَابِيعِ صَادِرٌ
فَرُوعَ قَلْبِ الطَّيْرِ مِنْهَا .. وَأَصْبَحَتْ
قِيَاثِيرُهُ خُرْسُ الْأَغَانِي خَوَادِرُ
فَمَالَ إِلَى عَشٍّ تَحَنُّ لَطْمُهُ
وَتَهْفُو إِلَيْهِ فِي الْبُرُوجِ الْحَرَارُ
بِهِ صَبَةٌ عَذْرَاءٍ مِنْ طَبْهَا ارْتَوَتْ
وَضَاعَتْ عَلَى نُسْكِ الْغَرَامِ الْمَبَاخِرُ
أَسَتْ جُرْحَهُ الدَّامِي ، وَوَامَتْ شُجُونَهُ
وَنَسَتْهُ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِ الْخَوَاضِرُ ..
وَدَارَتْ عَلَى الْعَشِّ اللَّيَالِي فَأُضْرِمَتْ
بِدُنْيَاهُ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ السَّوَاعِرُ
فَأَصْبَحَ مَفْطُورَ الْأَغَانِي مُشْرَدًا
عَلَى الْأَفْقِ طَيْرٌ عَنْ مَغَانِيهِ نَافِرٌ !

أَجِبْنِي عَلَى أُحْجِيتِي.. وَأَنْضِ^(١) سِرَّهَا
فَإِنْ لَمْ تُكْشِفْهُ فَمَا أَنْتَ شَاعِرٌ !
فَقُلْتُ : أَنَا الطَّيْرُ الشَّرِيدُ ! وَهَذِهِ
بِلَادِي يَشْقَى فِي حِمَاهَا الْعَبَاقِرُ
أَعِيشُ بِهَا أُسْتَمِرُّ الْحُظَّ صُدْفَةً
كَمَا عَاشَ مِنْ سَفَى^(٢) الْبَيَادِرِ طَائِرُ
فَلَا الْحُظُّ وَاتَانِي ! وَلَا الْيَأْسُ صَدَنِي !
كَأَنِّي عَلَى خُضْرٍ الرَّوَابِي مُقَامِرٌ !!



(١) اكشفه .

(٢) ما تسفيهه الرياح من البيادر . ويندر حبه .

نَامَ السَّنَا فَوْقَ ضِفَافِ الذُّهُولِ
 .. يَا لَيْتَهُ يَصْحُو !
 كَأَنَّهُ زَنْبَقَةٌ فِي الْحُقُولِ
 .. أَسْكَرَهَا الصَّبِيحُ !
 أَوْ نَجْمَةٌ بَيْنَ ثَنَائِيَا الْأَفُولِ
 .. مَاتَ بِهَا اللَّامِحُ !
 أَوْ نَسْمَةٌ قَيَّدَهَا فِي السُّهُولِ
 .. مِنْ شَمْسِهَا لَفَحُ !

نَامَ .. وَلَكِنْ يَقْظَةٌ فِي الضَّمِيرِ
 .. مِثْلُ السَّعِيرِ !
 الْوَجْهُ سَاجٍ كَصَلَاةِ الْغَدِيرِ
 .. بَيْنَ الطُّيُورِ !
 وَالْقَلْبُ شَلَالٌ عَنِ الْهَدِيرِ
 .. فَوْقَ الشُّعُورِ !
 يَا لَهْفَتَا ! وَالْجَفْنُ حُلْمٌ غَرِيرُ
 .. أَمْ طَيْفُ نَوْرٍ ؟

الذُّهُولُ



حُلْمٌ طَوَاهُ فِي الْأَسَى وَالذُّبُولِ

.. مِنْ لَوْعَتِي جُرْحُ !

أُمُّ دَمْعَةٍ حَيْرَى بِحَفْنٍ كَلِيلُ

.. أَتَعَبَهُ النَّوْحُ !

أُمُّ بُلْبُلٍ تَحْتَ ظِلَالِ النَّخِيلِ

.. أَسْكِرَهُ الصَّدْحُ !

فَنَامَ . . وَاسْتَلْقَى عَلَيْهِ الْأَصِيلُ

.. وَالظِّلُّ وَالِدُوحُ !

أُمُّ جَدُولٍ فِي شَطْهِهِ لِلْعُصُورِ

.. كَأْسٌ تَدُورُ !

أَغْفَى عَلَيْهِ ، وَتَحَسَّى الشُّعُورُ

.. خَمَرُ الدُّهُورِ !

وَرَقْرَقَ الطَّيِّبُ لَهُ وَالْعُطُورُ

.. قَلْبٌ طَهُورُ !

يَوَيْلَاهُ ! هَلْ مِنْ رَشْفَةٍ يَا خُمُورُ

.. الْمُسْتَجِيرُ ؟ !

سَهْوَانِ يَا حُسْنُ ، شَدَّهْتَ الْعُقُولَ

.. فَلَفَّهَا بِرُحٍّ !

أَذَابَ أَحْلَامَكَ يَوْمَ الرَّحِيلِ

.. بَيْنَ الْحُشَا جُرْحٌ !

أَمْ هَاجَهَا فِي الْأَفْقِ طَيْفٌ جَمِيلٌ

.. سَرَى بِهِ نَفْحٌ !

فَاسْتَيْقَظَ الشَّوْقُ ! وَنَامَ الْأَصِيلُ

.. وَالْمَرْجُ وَالسَّفْحُ !

سَبَّحْتَ فِي دُنْيَا عَلَيْهَا يَطِيرُ

.. قَلْبِي الْكَسِيرُ !

وَذَاعَ مِنْ جَفْنِكَ فِيهَا عَيْرُ

.. دَامَ حَسِيرُ !

يَبْضَاءُ ، أَغْيَانِي إِلَيْهَا الْمَسِيرُ

.. يَا لَلْمَصِيرُ !

فَعُدْتُ وَالْخَيْبَةَ تَسْقِي الشُّعُورُ

.. صَمَتَ الْقُبُورُ !

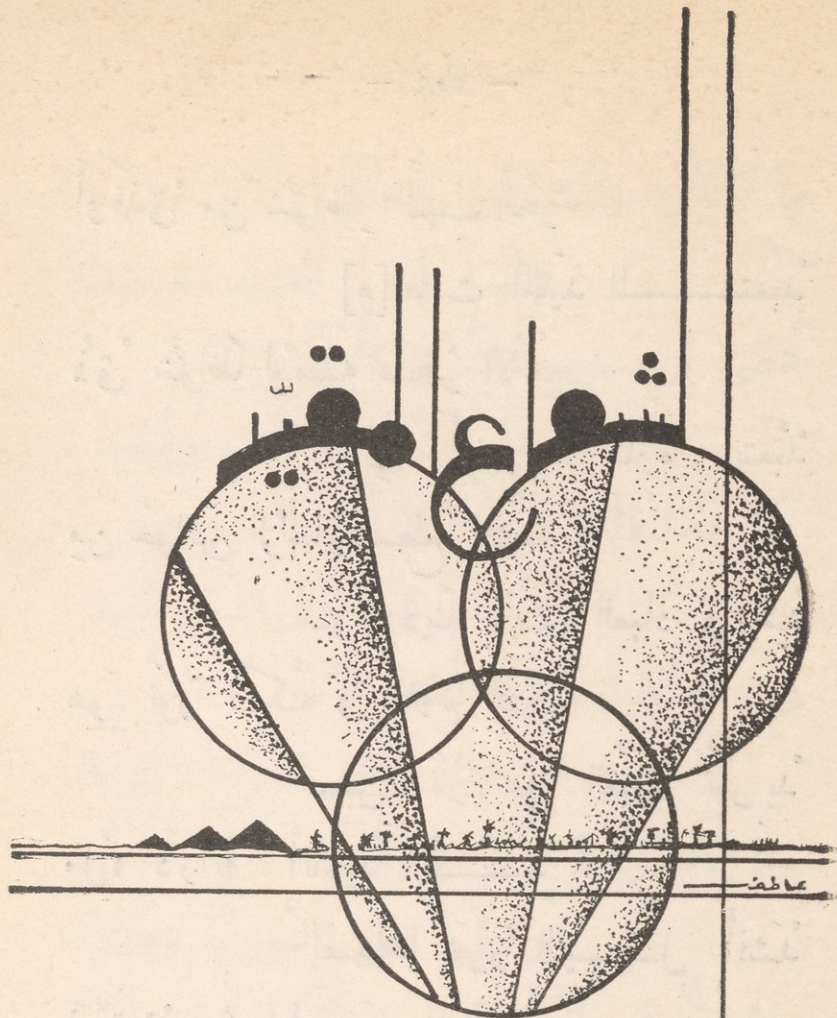
أَغْنِيَةٌ ذَابِلَةٌ!!

غَنَيْتُ لَمَّا شَاقَنِي الْمَلْتَقَى
 بِاسْمِكَ - فِي الْحِرْمَانِ - يَا زَهْرَتِي !
 فَمَاتَ لَحْنِي فِي شِفَاهِي ! وَمَا
 حَظَيْتُ بِالسُّلُوفِ مِنْ غُنُوتِي !
 عَبْدَتْهَا . . رُوحًا إِذَا رَفَرَفَتْ
 طَهَّرْتُ فِي أَنْوَارِهَا سَجْدَتِي
 لَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا ، وَلَا صَفْوَهَا
 يَشْغَلُ عَنْ تَقْدِيسِهَا فِكْرَتِي
 فِي كُلِّ لَمِيعٍ مِنْ سَنَاهَا هَوَى
 وَفِتْنَةً جَنَّتٍ بِهَا فِتْنَتِي
 وَكُلُّ نَبْرٍ مِنْ صَدَى صَوْتِهَا
 دُنْيَا مِنْ اللَّحْنِ بِقِيَامَتِي

عَبَدَتْهَا . . ما بالُ مَنْ أَرْخَصَتْ
 رُوحِي لَهَا تَمَعِينَ فِي جَفَوَتِي ؟
 بَيْضَاءُ كَالْفُلِّ سَوَى أَنْهَارِهَا
 خَالِدَةُ الْأَنْفَاسِ فِي نَكَمَتِي
 قُدْسِيَّةُ الْأَلْحَاطِ إِمَّا رَنْتِ
 قَبَسْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا عِفْتِي
 كَمْ سَامَرْتُ رُوحِي تَحْتَ الدَّجَى
 فِي غَيْرِ مَا إِثْمٍ وَلَا رِيَّةٍ !
 وَالْهَمَّتَنِي الشُّعْرَ . . هَلْ أَسْمَعَتْ
 أَذْنَاكَ لِحْنًا مِنْ شَذَى وَرْدَةٍ ؟

الْصَّدِيقُ ؟ !

سَأَلْتُ عَنْهُ . . فَقَالَ الْوَهْمُ — مُرْتَبِكًا — :
 رَفَاتُ اسْطُورَةٍ كَانَتْ تُسَلِّينِي
 دَفَنْتُهَا فِي خِيَالِي يَوْمَ أَنْ عَصَفَتْ
 بِي الْهَوَاجِسُ فِي أَحْلَامِ مَجْنُونٍ !



« إلى هالة الوطنية التي تنفجر أنوارها من تمثال
رسول الجهاد الأول مصطفى كامل . . وهو
يرسف في قيوده بين ظلام النسيان والجهود »

خُذْ أَمَانًا مِنْ الشُّعَاعِ الْمُقَيَّدِ
فَهُوَ فِي الْقَيْدِ جَمْرَةٌ تَمُوقِدُ

أَوْفَذِقْ مِنْ شُؤَاظِهِ اللَّهَبَ الْحَرَّ
 [م] فَأَنْتَ الْمُقَيَّدُ الْمَسْمُومُ — تَعْبِدُ
 ذُقْ شُؤَاظًا لَوْ مَسَّهُ صَاحِرُ الْأَغْ
 — لَالٍ أَضْحَى بِنَارِهِ يَتَعَبَّدُ
 مِنْ حَوَاشِي الرِّخَامِ يَسْطَعُ لِلْأَحْ
 — رَارِ دِينًا يَهْدِي الْعِبَادَ وَيُرْشِدُ
 هُوَ نَوْرٌ لَكِنَّهُ فِي ظِلَامِ السَّ
 — جَنِّ نَارٌ عَلَى الْقِيُودِ تَعْرِبُ
 مِلْهُ ذَرَّاتِهِ أَنَا شَيْدٌ مَجْدُ
 بِصَدَاهَا مُحَرَّرُ النِّيلِ أَنْشَدَ
 ذَرَّةٌ تَرْعِبُ الْحَدِيدَ عَلَى الصَّمِّ
 — تِ! وَأُخْرَى فِي الْهَوْلِ تُرْغَى وَتُزْبَدُ
 غَلَّتْهُ بِالْأَمْسِ كَفَّ ضَلُولُ
 — تَنْصُرُ الْبَغْيَ بِالْحُسَامِ الْمَجْرَدِ
 شَدَّ طُغْيَانَهَا عَتَى مِنْ الْغَرِّ —
 بِ ، عَلَى النَّيْلِ كَمْ طَغَى وَتَمَرَّدَ

مَلَكْتُهُ — وَالْمَلِكُ لِلَّهِ ! — دُنِيَا
ظَلَمْتُهَا عَاجِلُ الْفَنَاءِ مُبَدَّد
فَمَضَى فِي مَسَابِحِ الشَّرْقِ كَأَلَقْ
سَدَارُ يُشْقَى كَمَا يَشَاءُ وَيُسْعِدُ !
كَمْ عَدَا فَاتِكَا ! وَأَحْكَمْ أَغْلَا —
لَا عَلَيْهَا الرِّقَابُ فِي الشَّرْقِ تَشْهَدُ !
فِي « فِلَسْطِينَ » ظَلَمَهُ أَقْلَقَ الدُّنْ
يَا وَمَا هَزَّهُ الصَّرَاخُ الْمَرْدَدُ
وَعَلَى « مِصْرَ » كَمْ أَذَلَّ ! وَأَرْدَى !
وَتَمَطَّى عَلَى النُّجُومِ وَهَدَدُ !
عَبَقْرَى فِي الْخَلْتِ يُدْمَى وَيَرْتَ
[م] دُ عَلَى الْجَرْحِ بَاكِيًا يَتَوَجَّدُ
كَمْ سَقَى النَّيْلَ مِنْ ضَرَوَاتِهِ الْهُوَ —
نَ وَعِيشًا مِنَ الْمَذَلَّةِ أَنْكَدَا
وَتَمَادَى .. فَكُنْتُ يَا « مُصْطَفَى » الْهُوَ —
لَ عَلَى هَوْلِهِ تَتَوَّرُّ وَتَرَعِدُ

في غباء السنين ! والنيل مُغفٍ !
وبنوه من سكرة الضيم هُجْدُ
قمت كالعاصف المججل تجتأ -
حُ فلا تنثنى ولا تتردد
تُلْبِسُ القيدَ من جنانك قيداً
حزُّه في الحديدِ نقشٌ مُخلدٌ
هتفاتٌ بِحُبِّ (مصر) وموتٌ
في هواها ! ونشوة ! وتعبدٌ
وصلاةٌ بمجديها .. كنتَ فيها الـ
عباد الصَّبِّ ، والشواطيء معبدٌ
وذيادٌ عن حرمة الوطن الشّا -
كى بعزمٍ « كنيله » ليس ينفذ
ودفاعٌ عن الحمى كنتَ فيه
ما لغير الحمى ترومُ وتقصدُ
فارسٌ في قتامة النيل تمضي
بشهابٍ من السماء مؤيِّدٌ

مِشْعَلٌ فِي يَدَيْكَ شَرَّدَ بِالْأَضْ
 -وَاءِ جُنْحًا عَلَى الشَّوْاطِئِ أَرَبَدُ
 كُنْتَ تَسْرَى بِهِ فَتَنْهَضُ فَإِنِ
 نَ عَلَيْهِمُ شَيْخُوخَةُ الْيَأْسِ تَقْعُدُ
 بِضِيَاءٍ مِنَ الْهُدَى أَنْعَشَ الشَّرُّ —
 قَ وَطَرَفُ الزَّمَانِ فِي «مِصْرَ» أَرَمَدُ
 وَيِيَانٍ كَأَنَّهُ لَهَبٌ «الْبُرِّ» —
 كَانَ «تَخْتَارُ جَهْرَهُ وَتَنْصُدُّ
 كُلُّ لَفْظٍ مِنَ الصَّرَاحَةِ سَهْمٌ
 فِي حَشَا الْغَاصِبِينَ مَاضٍ مُسَدَّدُ
 هَاتِ لِي مِنْ صَدَاهُ نَبْرًا، لَعَلِّي
 أَنْقُتُ النَّارَ مِنْ صَدَايَ الْمَغْرَدُ
 هَاتِهِ فَالْجُحُودُ وَارَاهُ فِي سِجْنِ —
 نَ عَلَى شَاطِئِ اللَّيَالِي مُشَرَّدُ
 فِي زَوَايَا النَّسِيَانِ قَبْرٌ... وَذِكْرٌ...
 وَرَخَامٌ فِي الصَّمْتِ لَهْفَانٌ مُكَمَّدُ

كَادَ يَنْضُو الْأَسْتَارَ عَنْهُ وَيَنْعَى :
 أَنَا رَمَزُ الْفَخَارِ يَا « نَيْلُ » فَاشْهَدْ !
 أَنَا عَلَّمْتُكَ الْوُثُوبَ عَلَى الْقِيَّةِ
 سَدِّ ! وَعَلَّمْتَنِي الْأَسَى وَالتَّهَنُّدَ !
 مَا الَّذِي فِي الضُّفَّافِ نَسَّاكَ رُوحًا
 ذَاقَ مِنْ أَجْلَاكَ الرَّدَى وَاسْتَشْهَدَ ؟
 أَشْيُوخٌ عَلَى الْكَرَاسِيِّ هَاجُوا
 وَهِيَ مِنْ هَزَلِهِمْ تَمِيدُ وَتُرْعَدُ ؟
 أَمْ شَبَابٌ عَلَى تُرَابِكَ يَمْشِي
 حَوْلَ سَاقِيهِ كَالْأَسِيرِ الْمُصَفَّدِ ؟
 خَانِعٌ فِي حِمَاكَ .. يَنْتَظِرُ الْبَعْدَ
 ثَلَاثَ لَيَمَضَى إِلَى الْأَمَامِ وَيَنْهَدُ
 عَاقِبَتَهُ . وَالرِّزْقُ فِي « مِصْر » رَهْنٌ
 بَرَجَاءُ ! وَذِلَّةٌ ! وَتَوَدُّدٌ !
 كَيْفَ يُلْقَى بِعِزِّهِ تَحْتَ نَعْلَيْهِ
 — هـ وَفِي الذِّلِّ يَسْتَنِيمُ وَيَرْقُدُ !!

ما الَّذِي فِي الضَّفَّافِ نَسَّاكَ يَا «نَيْلُ»

(م) هَوَى ذَلِكِ الشُّعَاعِ الْمُقَيَّدُ ؟

فَنَحَتَ التَّمَالِ شِبْرًا . . عَلَيْهِ

تَأْتُهُ الدُّودُ فِي الْبَلِي يَتَمَرَّدُ !

وَحَرَمْتَ الْجِهَادَ فَجَرًّا مِنَ النُّوْ-

ر ، يُهْدَى إِلَى غُلَاكَ وَيُرْشَدُ ؟ !

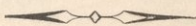
آهَةٌ شَقِيَّةٌ !!

ضَاقَ عَيْشِي ، وَضَاقَتْ الْأَرْضُ حَوْلِي

وَانْحَنَتْ مِنْ شَقَاكَ عُمْرِي الْأَهْلَةُ

وَنَشَدْتُ الْمُنَى فَوَلَّتْ هَبَاءً . .

« رَبِّ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الْمُمَلَّةُ !! »



يَغْفِي عَلَى أَمَلٍ ، وَيَصْحُو ظَافِراً ...

« أنشدت في الاحتفال بتكريم الأستاذ
« سعد اللبان » في فندق الكونتنتال »

لَا سِحْرُهُ يُفْنِي ، وَلَا إِلْهَامُهُ
مُتَرَنَّحُ الْأَصْدَاءِ ، فَوْقَ نَشِيدِهِ
يَهْتَزُّ فِي الدُّنْيَا .. فَتَحَسَّبُ رَاجِزاً
لِلنَّيْلِ لَوْعَتَهُ تَوَجَّ ، وَلِلَّذِي
فَإِذَا غَفَا بِلَا شَطِّ سَجَّعَ رَبَّابِهِ
نَشْوَانِ يَسْكُبُ رُوحَهُ فِي رَاحِهِ
جَوَابَ آفَاقِ الْخِيَالِ ، كَأَنَّهُ
كَمِ رَامِهِ شَادَ ، فَأَقْصَرَ دُونَهُ
حَتَّى دَعَا الدَّاعِيَ إِلَيْكَ فَهَزَّهْ
هَاتِ الْعُلَاوِ الْمَجْدَ .. وَاسْأَلْ نَايَهَ

لَا حَنُّ عَلَى الْأَبْطَالِ رَفَّ سَلَامُهُ
عَنْبُ الْخُلُودِ ، وَكَأْسُهُ ، وَمَدَامُهُ
مِنْ دَارَةِ الْجَوْزَاءِ هَلَّ بَغَامُهُ
يُعْلَى مَنَارَتَهُ يَلْجِ هَيَامُهُ
سَطَعَتْ بُنُورُ الضَّحَى أَحْلَامُهُ
أَقْصَرَ مَلَامِكُ لَنْ يُفِيقَ غَرَامُهُ !
سَرِبَ إِلَى الْفَرْدُوسِ طَارِحَامُهُ
وَشَاىَ فَحَلَّقَ فِي النُّجُومِ مَرَامُهُ
رَجَعَ النَّدَاءُ ، وَصَفَّقَتْ أَنْعَامُهُ
تَلَقَّ الْمَلَا حِمَ زَفَّهَا إِلْهَامُهُ

قَلْبُ تَنْفَسَ لِلْعَلَا خَفَقَانُهُ
 مُتَوَثِّبُ الْخَطُواتِ تَحْسَبُ آيَةً
 يُغْنِي عَلَى أَمَلٍ ، وَيَصْحُو ظَافِرًا
 وَيَظَلُّ تَصْطَفِقُ الْمَنَى بِجَنَانِهِ
 وَلَهِيَ عَلَى الظَّفَرِ الْحَبِيبِ تَشْوِيرَانِ
 إِنْ شَارَفَتْ أَمَلًا يُجْنُ جُنُونُهَا
 هِيَ فِي الضَّلُوعِ مَنَى سِوَا كُنْ ، إِنْما
 أُسْرَى بِهَا قَلْبٌ يَفِيضُ تَوْثِبًا
 قَالُوا : نَكَرَّمُهُ ! فَقُلْتُ : رَوَيْدُكُمْ !
 بَرَمَتْ عَزَائِمُهُ بِشَرِّعٍ ، مُرْسَلُ
 الْقَيْدُ فِيهِ - وَإِنْ جَهِلْتُ حَدِيدَهُ -
 فَمَضَى تَدَرَّعُ لِلنَّضَالِ حَيَاتُهُ
 ضَرَبَتْ عَزِيمَتُهُ الْمِثَالُ لِمَوْطِنِ
 دِينَ الْوِطَائِفِ - وَالْبِلَادِ فَقِيرَةٍ

* *

« دَارُ النَّيَابَةِ » قَدْ أَعَزَّكَ جَانِبُ
 لِلْعِلْمِ يَشْمَخُ فِي ذَرَاكَ مُقَامُهُ

كم ذاق قبلك ظامى من نبعه
فسلى ضفاف «السين» غرس جهوده^(١)
وسلى الحمى تنبئك عنه جرأة
فيضاً سيوردك المنى سجامه
تنبئك محراب الهدى وإمامه
في الرأي يدرك هولها أخصامه

يا «سعد» والوتر الذي أشد وبه
ولكم أسيت لحظة وغضبت أن
فاسمع به نغم الوفاء .. فإن ونى
مثل الجهاد الحر أنت بشاطيء
لك هداة الغدران رق نسيمها
وإذا تشور فمعن جناتك منبى
فانهض بعزمك في ظلال مملك
«فاروق» ! والدنيا تعز بعرشه
الشرق مله الزمام .. وشعبه
كم هز قلبك ما برت أنعامه
تزن الهباء بأرضه أقسامه
فعلى بيانى لا على ملامه !
ظمت لمثلك فى الحمى أنسامه
والظل تتم فى النخيل يمامه
نفس اللهب، وأزه، وضرامه
زخرت بأعياد الحمى أيامه
ويتيه فوق جلالها أهرامه
فى النيل مشتعل اللهب هيامه !

(١) حينما كان فى صدر شبابه مستشاراً للإدارة الشرعية
والدينية فى المفوضية المصرية بفرنسا.

شعر . . .

.. شعروا لو أن الجن تسمع شذوه
سجدت لدى جن الصدى أزواجها
ولو أن همس نشيده في حانة
خشع الندام ، وكبرت أقداحها
ولو أن سحر بيانه بمفازة
لمضى يسلسل حننه صفاحها
ولو أن تهويل الخيال بساحة
خلف الغيوب لفرغت أشباحها
قد سبق الأرواح في وثباتها
وشأى فعطل عن صده جماحها..
فإذا يرق حسبته قمرية
قد هاج أحلام الضحى تصداحها

أَوْ نَعْمَةً فِي ثَغْرِ حَادٍ مُدْلِحٍ
بَيْنَ الْكَرَى وَالصَّخْرِ ذَابَ صُدَاحُهَا
عَذْبُ الْحَفِيفِ عَلَى الْقُلُوبِ كَأَنَّهُ
دُنْيَا أَمَانٍ قَدْ زَهَا إصْبَاحُهَا
خَمْرٌ . . . تَحَدَّ الْخَمْرُ فِيهِ ! وَقُلْ لَهَا:
مَا كَرَمَةُ الدُّنْيَا ! وَمَا تُفَاحُهَا !
وَإِذَا يَمُورُ بَجَنَّةٍ مُخَضَّلَةٍ ،
زَأَرَتْ بِأَنْفَاسِ اللَّيْلِ بِطَاحُهَا
نُورٌ ! وَنَارٌ . . . رَوْضَةٌ ! وَجَهْمٌ
وَسُطُورٌ فَنِّ مُعْجَزٍ إِفْصَاحُهَا
هَذَا الَّذِي يَا نَائِي تُجْجِدُ سِحْرَهُ
دُنْيَا تَنْزُّ بِجَانِيٍّ جِرَاحُهَا . . .



دمعة وفاء ...

« . . على فقيد » دار العلوم
المرحوم « أبي الفتح الفقي » !

ما تُرى يا حزينُ تشدو والمزاهرُ
لا ترُمها شِوادي النَّعمِ العذُ
عبثٌ في الغِناء أن يُنسى الكُرُ
من يكنْ لحنه يهزُّ الحنْـايا
وإذا الشَّاعرُ الطُّروبُ تغنى . .
بعد ما خُدَّرتْ بِلحْنِ المقاديرِ !
بِ، طِرَاباً بالأغْنِيَاتِ السَّوَاحرِ
بَةً أَوْ يُوْهِنُ الفَجِيعَةَ زامِرُ
فَلَحُونِ الرَّدَى تَذِيبُ المرائِرُ
فألهُ عنه ! ! فالموتُ أبلغُ شاعِرُ !

طُفْتُ في ساحةِ البَيانِ وقلبي
والضُّحَى واجمُ الظُّلالِ ، كسيفُ
جمدَ الطلُّ في الكَمِامِ وماتتْ
ورمى الطيرُ عوده غيرَ ندما
راجفُ الحسِّ ، مُستَطارُ المشاعرِ
باهتُ النُّورِ، مُطرقُ الزَّهرِ، سادرُ
فَوْحَةِ العِطْرِ في جُيُوبِ الأزاهرِ
نَ عليه ، وعافَ ضَرْبَ القِيَّاسِ

كلما خفَّ هائجٌ من أغانيه تعايا فذاب طيَّ الحناجر !
 سكنت في العشاش عصفورة النيل . . وشلَّ الأسى مراح القنابر
 وكان السماء خيمة شيخ شدَّ أطنابها حبال المقابر
 غمر الشكّل روحه بعماء وشقاء ووحشة ودياجر
 لا يحس الحياة إلا زفيراً نفخته الشجون حول الحفاثر !
 إنها صرعة الفناء أثارت كل قلب ، وأذهلت كل خاطر
 طلست سرها الغيوب وأرخت دونهما للورى كفيف الستائر
 طمحت أعيني إليها ، فردتها سراعاً إلى حيرى حواسر
 ما لها سلوة عن الحزن إلا سيكب من مرقق الدمع مائر
 قلبت طرفها طويلاً فلم تبصر سوى لمة الدموع الماطر
 تهاوى حيالها من عيون كسفات من البكاء غوائر
 يا « أبا الفتح » كنت هالة نور قبستها فأشرقت في البصائر !
 غبت عنها . . ولم يغب لك ومض زاهر اللّمع خالد في الضمائر !
 أنمّلات الطيب راحت تواسيك من الداء وادعات غرائر
 خدع العلم طرفها فتهادت فوق جنبك تبثلى وتغامر
 فإذا راحة المنية صدتها فخرت على يديها صواغر

وَنَحْهَا لَوْنَضَتْ حِجَابَ الْمَنِيَا عَرَفْتُ أَنَّهَا لَدَيْهِ تُقَامِرُ !
هَلَلْتُ لِلرَّيِّعِ زَنْبَقَةُ الرَّيِّفِ ، وَمَاسَتْ لَهُ الْوَرُودُ النَّوَاضِرُ
فَتَهَادَيْتَ كَالشَّعَاعِ إِلَيْهَا تَنْشُدُ الْعَيْشَ فِي الظَّلَالِ الزَّوَاهِرُ
سَجْوَةً تَحْتَ أَيْكِهَالِكَ مَهْدُ نَاعِمُ الْفَيْءِ ، بِاسْمِ الضَّوِّ ، عَاطِرُ
يَتَلَقَّاكَ فِي خُشُوعٍ وَيُضْفَى حَبَرَ الزَّهْرِ فِي خُطَاكَ الطَّوَاهِرُ !
سِرْتُ لِلدَّجْمُونِ^(١) عَجَلَانِ ، مَاذَا ضَرَّ يَا رَبُّ لَوْ تَأَنَّى الْمَسَافِرُ !
نَصَلْتُ خَلْفَكَ الْقُلُوبُ حَيَارَى وَاجْهَاتِ تَحْتَ الضَّلُوعِ مَوَائِرُ
لَوْ نَى الدَّمْعُ عَنْ صَدَاهَا تَلَطَّتْ جَمَرَاتٍ مُلَذَّعَاتٍ سَوَاعِرُ
كَنْتُ تَسْرِي وَالنَّاسُ حَوْلَكَ سَيْلٌ جَارِفٌ فِي الشَّمَابِ كَالْمَوْجِ هَادِرُ
خَيْلَ تَسْيَارِهِمْ وَرَاءَكَ نِسَا كَأَ تَرَامَوْا عَلَى حَوَاشِي الْمَنَابِرُ
أَقْلَقُوا مِسْمَعَ الْأَصِيلِ صُرَاخًا وَنَحِيبًا وَفَزَعُوا كَيْلَ عَابِرُ
أَخَذُوا إِخْذَةَ الْمُؤَمِّلِ دَكَّتْ صَرَحَ آمَالُهُ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
كَلَّمَارَنَ خَافِقٍ مِنْ صَدَاهُمْ لَطَمَتْ خَدَّهَا كِرَامُ الْحَرَائِرُ !
أَطْرَقَ السُّنْبُلُ الْحَزِينُ وَجَنَّتْ مِنْ أَسَى خَطْبِكَ الطُّيُورُ الْعَوَابِرُ
حَسِبْتُ نَعْشَكَ الْمَطْهَرُ طَيْرًا لِلْجِنَانِ الْفِسَاحِ فِي الْخُلْدِ سَائِرُ

(١) الوطن الأول للفقيه وقد شيع إليه نعشه ودفن به .

فَتَسَامَتْ فِي الْجَوِّ صَوْبَكَ غَيْرِي تَهْدَى الْعُلَا بِأَقْدَسِ طَائِرُ
وَوَصَلْتَ الضَّفَافَ مِنْ لُجَّةِ الْمَوْتِ وَكَلَّ لِشَطِّهَا بَعْدُ صَائِرُ
لَا نَمَالُ الشَّقُوقِ تُعْصِمُ مِنْهَا لَا وَلَا فِي الْبُرُوجِ صِيدُ الْقِيَاصِرُ
هِيَ أَسْطُورَةُ الزَّمانِ ، وَلُغْزُهُ مَنْ يَرُدُّ حَلَّهُ فَلَا بُدَّ خَاسِرُ
وَرَجَعْنَا خُرْسَ الْبَيَانِ ! فِصَاحَ الدَّمْعِ صَمَّ الْقُلُوبِ ! عُمَى النِّوَاطِرُ
كَيْلٌ مِنْ جَوَارِحٍ تَتَنَزَّى كَهَشِيمٍ مِنَ الْبَلَى مَتَطَايِرُ
مَنْ يَشَأْ سَأَلْنَا نَطَقْنَا دُمُوعًا وَجَوَابُ الْحَزِينِ ذَوْبُ الْمَاجِرِ !
سَلَّ شُحُوبَ الْمَسَاءِ ، كَيْفَ اخْتَوَانَا فِي جَحِيمٍ مِنَ التَّأَوُّهِ سَاعِرُ
لَوْ نُسَخْنَا بِهِ لَكُنَّا رِيحًا صَافِرَاتٍ عَلَى مُتُونِ الْهَوَاجِرِ
شَرَّدَ اللَّيْلُ نَوْحَنَا فِي حَوَاشِيهِ ، وَقَلْبُ الدَّجَى سَرِيرَةٌ كَافِرُ ! ...

الْعُزْلَةُ !

اتْرُكُونِي وَعُزْلَتِي يَا بَنِي الطَّيِّ — نَفَائِي عَلَى حِمَاكُمْ غَرِيبُ !
أَنَا فِي صَمْتِهَا صَلَاةٌ .. فَخَفُّوا وَاهْجُرُوا أَرْضَهَا فَاتَمَّ ذُنُوبُ
وَأَتْرُكُونِي بِظِلِّهَا أَتَغْنَى فَعَنَائِي لِمَا جَرَحْتُمْ طَبِيبُ
أَنْتُمْ الَّتِي فِي دَمِي ! وَهِيَ الْفَرْ — حَةٌ ، وَالصَّفْوُ ، وَالْمُنَى ، وَالْحَبِيبُ

هكذا قالت دودة القبر !

أنا في ظلمة قبري أرْتَوِي من كلِّ خمر ..
من رُضَابٍ في شفاهِ الصَّيْدِ ، كم أَشْقَى بِسِحْرِ !
وَسِرَابٍ في جِباهِ الصَّيْدِ ، كم أَغْرَى بِكِبْرِ !
كم مُلُوكٌ دَانَتْ الدُّنْيَا لَهُمْ ، ذَلُّوا لِأَمْرِي
وَعُرُوشَ رَصَعَتْ تِيَجَانَهَا حَلِيًّا لِصَخْرِي
وَسُوسَاتُ الدَّرِّ فِيهَا كُنَّ أَنْعَامِي وَشِعْرِي ..
لِي يَا ابْنَ الطَّيْنِ مُلْكٌ فِي الْبَلَى لَوْ كُنْتَ تَذَرِي
صَوْجَانُ الدَّهْرِ عِنْدِي وَزَنُهُ مَشْقَالُ ذَرٍّ
تَظْمَأُ الدُّنْيَا فَتَمْضِي تَسْتَقِي مِنْ كُلِّ بَحْرٍ ..
لَا يُرَوِّهَا ، وَلَا يُطْفِئُ صَدَاها غَيْرُ نَهْرِي
شَاطِئُهُ مَهْدَتْ لِلنَّسْيَانِ فِيهِ كُلَّ عَصْرِ
أَقْلَقَ الْأَزْمَانَ فِيهِ الْمَوْجُ مِنْ بَرٍّ لِبَرٍّ
فَانزَوْتُ فِي الْقَبْرِ حِينًا ثُمَّ نَامْتُ تَحْتَ صَدْرِي !

هكذا قالت البغى ..

وَاسِ يَادَهُرُ ! وَكَفِّكَ مِنْ صُرُوفِي - وَأَعِ—نِي !
طَالَ بِالْعَارِ عَلَى الدُّنْيَا وَقُوفِي - لَا تَلْمَنِي !
وَحَبَّتْ مِنْ خَزِيرِهَا تَحْتَ شُفُوفِي - نَارُ حُزْنِي !
مَا الَّذِي فِي زَلَّةِ الْجَسِمِ الضَّعِيفِ - كَانَ مِنْي ؟
بَعْتُ عَرَضِي - يَا إِلَهِي - بِرَغِيفٍ - فَأَعْفُ عَنِّي !

قِيلَ : إِنَّ الرِّقَّ قَدْ ذَابَتْ قِيُودُهُ - وَتَصَ—رَّمْ !
كَذَّبُوا .. هَذَا عَلَى جِسْمِي حَدِيدُهُ - يَتَضَ—رَّمْ !
كَلَّمَا هَلَّتْ عَلَى رَجْسِي وَفُودُهُ - تَتَنَ—مَّ !
غَاصَ بِي فِي الشَّهْوَةِ الدُّنْيَا عَمِيدُهُ .. - رَبِّ فَارْحَمْ !
وَأَنَا ... كَالْعُودِ يُشَجِّهِمُ نَشِيدُهُ - وَهُوَ مُلْجَمٌ !

ساقني القوت ، وساقيتكم إلى — شهوات !
 جذبتكم للهوى من شفاتي — جمرات ؛
 أزهرت مخرتها من رعتي — زفارات !
 هي في شرعكم الجاني علي — صبات ؛
 وهي لحن الزاد غنته لدى — قبيلات !

في سبيل العيش يا شرع التراب — ما أكابد !
 حرم الله .. وحللتكم .. شبابي — للمفاسد !
 وارثتكم شرعة سوت خرابي — بالمعابد :
 في زحام الأئمة ، لا يطرد بابي — أي قاصد !
 لا .. ولا يفضي حياء من عذابي — طرف زاهد ..

أي شرع قال : في القييد أسدكوها .. — للفجور ؟
 وإلى سجن المواخير ابعثوها .. — لا الخدور ؟
 ألا أني كنت أنشي خدعوها — بالسفور !
 حينما العفة هاجت .. أغرقوها — في الخور ..

لَيْتَهُمْ — لما أَفَاقْتُ — شَيَّعُوهَا — لَلْقُبُورِ !!

أَنَا رِيحُ—انَّةُ عَارٍ قَدْ رَوَاهَا — إِيَّاهُ أَرْضِي
 بَعْدَ مَا لَوَّثَ جَانِبَهَا شَذَاهَا — رَاحَ يُغْضِي
 نَجْمَةً كَمْ أَسْكَرَ الْكَوْنُ سِنَاهَا — مَاتَ وَمَضَى
 هَكَذَا الدُّنْيَا عَلَى الدُّنْيَا هَوَاهَا — رَاحَ يَقْضِي ..
 حُرَّةٌ بِاللَّقْمَةِ الْعَفْرَاءِ — وَاهَا !! — بَعْتُ عَرْضِي !!

بَحِيرَةُ النَّسِيَانِ !!

رَفَرَفَتْ فِي دَمِي أَوْرَفَّتْ عَلَى الرُّو
 عِنْدَهَا قَدْ نَسِيتُ ذَاتِي، وَحَسِّي
 وَنَسِيتُ النَّسِيَانَ .. حَتَّى كَأَنِّي
 فَاحْضُنِي يَا بَحِيرَتِي زَوْرَقَ الرُّو
 حِ! وَذَابَتْ ... بِحِيرَةُ النَّسِيَانِ
 وَزَمَانِي، وَعِبَائُهُ، وَمَكَانِي
 هَجَسَةً فِي خَوَاطِرِ الْأَكْهَانِ
 حِ، وَغَيْبِي عَنْ ضَجَّةِ الْأَكْوَانِ ..

أَنْتِ دِيرُ الْهُوَى، وَشَعْرَى صَلَاةٍ ...

« إلى غمامتي الشاردة ... أهدى هذه الصلاة ! »

أَقْبَلِي كَالصَّلَاةِ رَقْرَقَهَا النَّسْكَ بِمِحْرَابِ عَابِدٍ مُتَبَتِّلٍ
أَقْبَلِي آيَةً مِنْ اللَّهِ عَلِيًّا زَفَّاهَا لِلْفُنُونِ وَحْيٌ مُنْزَلٌ
أَقْبَلِي فَالْجِرَاحُ ظَمَأَى! وَكَأْسُ الْحُبِّ تَكَلَّى! وَالشَّعْرُنَايُ مَعْطَلٌ
أَنْتِ لَحْنٌ عَلَى فَمِي عِبْقَرِيٍّ وَأَنَا فِي حَدَائِقِ اللَّهِ بُلْبُلٌ
أَقْبَلِي ... قَبْلَ أَنْ تَمِيلَ بِنَا الرِّيحُ! وَيَهْوَى بِنَا الْفَنَاءُ الْمَعْجَلُ
زَوْرَقِي فِي الْوُجُودِ حَيْرَانُ شَاكٍ مُثْقَلٌ بِالْأَسَى، شَرِيدٌ، مُضِلٌّ
أَزَعَجَتْهُ الرِّيحُ، وَاغْتَالَهُ اللَّيْلُ بِجُنْحٍ مِنَ الدِّيَاجِيرِ مُسْبِلٌ
فَهُوَ فِي ثَوْرَةِ الْخَضَمِ غَرِيبٌ خَلَطَ النَّوْحَ بِالْمَنَى وَتَنَقَّلَ
أَقْبَلِي يَا غَرَامَ رُوحِي! فَالْشُّطُّ (م) بَعِيدٌ! وَالرُّوحُ بِالْيَأْسِ مُثْقَلٌ
وَعِغَامُ الْحَيَاةِ أَعْشَى سَوَادِيَّ (م) وَنُورُ الْمَنَى بِقَلْبِي، تَرْحَلُ
أَنَا مَيِّتٌ تَغَاوَلَ الْقَبْرُ عَنِّي وَهُوَ لَوْ دَرَى شَقْوَتِي مَا تَمَهَّلَ

فاسبكي لي السنن، وطوفي بنعشي
 أنت تبعي، وأين كنتي، وظلالي
 أنت لي واحة أفىء إليها
 أنت ترنيمة الهدوء بشعري
 أنت تهويدة الخيال لأحزاني —
 أنت كاسي، وكرمتي ومدامي
 أنت فجرى على الحقول.. حياة
 أنت تغريدة الخلود بالأحلى —
 أنت صيف الغيوب رفرف بالرحمة والطهر والهدى والتبتل
 أنت لي توبة إذا زل عمري
 أنت لي رحمة براها شعاع
 أنت لي زهرة على شاطئ الأحلام —
 أنت شعر الأنسام وسوسات الفجر —
 أنت سحر الغروب، بل موجه الأشرار —
 أنت صفو الظلال تسبح في النهر —
 أنت عيد الأطياف فوق الروابي ..
 ينعش الروح سحر كالمتهلل
 وخميلي، وجدولي المتسلسل
 وهجير الأسى بجنتي مشعل
 وأنا الشاعر الحزين المبدل
 ني، بأطياف نورها أتعلم
 والطلامن يدبك سكرته محمل
 وصلاة، ونشوة، وتهلل
 ني.. وشعر الحياة لغو مهمل
 وصحا الاثم في دمي وتململ
 هل من أعين السما وتنزل
 لام تروى بمهجتي وتظلم
 وذابت على حفيف السنبيل
 راق عن سحرها جناني يسأل
 وتلهو على ضفاف الجدول
 أقبلني! فالربيع للطير أقبل ..

أَنْتِ هَوْنِي، وَحَيْرَتِي، وَجُنُونِي يَوْمَ لِلْحُسْنِ زَهْوَةٌ وَتَذَلُّ
 أَنْتِ دَيْرُ الْهَوَى وَشِعْرِي صَلَاةٌ لَكَ طَابَتْ ضِرَاعَتِي وَالتَّذَلُّ
 أَنْتِ نَبْعٌ مِنَ الْخُنَانِ، عَلَيْهِ أَطْرَقَ الْفَنُّ ضَارِعًا يَتَوَسَّلُ
 أَعْيُنٌ لِلْخُشُوعِ تُغْرَى، نَخْلِيهَا — هَا عَلَى لَوْعَتِي تَغْضُّ وَتُسَبِّلُ
 وَاتْرِكِيهَا وَسَجَرَهَا يَتِمَادِي عَلَّمَا^(١) «بَابِلُ» بَنَجَوَاهُ تُشْغَلُ !
 هُوَ فَنِّي، وَمُلْهُمِي . . فَاَبْعَثِيهِ فَهُوَ مِنْ زَهْوَةِ شَجِيحٍ مُبْخَلٍ
 يَتَغَاثَى عَلَى الْجُفُونِ، فَإِنْ رُحُ — تٌ أَنْجِيهِ لَجَّ فِي الْكَرَى وَتَوَغَّلُ
 وَانْتَشَى مِنْ سَنَاكِ وَأَنَسَابٍ فِي حُلْ — ظِكَ يُحْسُو الضِّيَاءَ مِنْهُ وَيَنْهَلُ
 وَانْبَرَى مِنْ جَفُونِكَ الْبَيْضِ كَالْأَقْ — دَارٍ يُرْدِي كَمَا يَشَاءُ وَيَقْتُلُ
 لَيْسَتْ لِي مِنْ صِرَاعِهِ كُلُّ يَوْمٍ غَزْوَةٌ فِي سَكُونِ قَلْبِي تَجَلَّجَلُ !
 وَلَكَ الصَّوْتُ نَاغِمٌ بِعَادَةِ الشَّوْ — قُ فَأَضْحَى حَنِينُهُ يَتَرَسَّلُ
 نَبْرَاتٌ كَأَنَّهَا شَجْنُ الْأَوْ — تَارَ فِي عَوْدِ عَاشِقٍ مُتَرَحَّلُ
 أَوْ حَفِيفُ الْأَذَانِ فِي مَسْمَعِ الْفَجْ — رِ نَدَى الصَّدَى، شَذَى الْمَنْهَلُ
 أَوْ غِنَاءُ الظَّلَالِ فِي خَاطِرِ الْغُدْ — رَانَ شِعْرَتِي فِي الصَّمْتِ عَانَ مَكْبَلُ
 أَوْ نَشِيدُهُ أَذَابَهُ الْأُفُقُ النَّأْ — ثِي، وَغَنَاءُهُ خَاطِرِي الْمُتَأَمِّلُ !

وَلَكِ الْبَسْمَةُ الْوَدِيعَةُ .. طَهَّرَ وَصَفَائِهِ ، وَصَبَّوَةً ، وَتَغَزَّلَ
لَذَّةُ الْهَمْسِ فِي دَمِي تَنْقُلُ الرُّوحَ — حَ لَوَادٍ بِصَفْوِ عُمَرَى مُظْلَلٍ
فَاسْكُبِيهَا عَلَى جَنَانِي ، وَخَلِّي سِحْرَهَا فِي مَشَاعِرِي يَتَهَدَّلُ !
وَلَكِ الْهَدَاةُ الَّتِي تَغْمُرُ الْحُسْنَ سَفَرُ وَى مِنَ السَّكُونِ وَيُشْمَلُ
وَاحَةً لِلْجَمَالِ ، قَلْبِي فِيهَا مِنْ أَسَى الدَّهْرِ نَاسِكٌ مُتَغَزِّلُ
عَلَّمَتْنِي ظِلَالُهَا كَيْفَ أَنْسَى صَخَبَ الْهَمِّ وَهُوَ عَصْفٌ مُزَلْزَلُ
وَلَكِ الْعَفَّةُ الَّتِي عَادَ مِنْهَا «مَرِيئِي» السُّتُورُ فَوْقَكَ مُسَبَّلُ
وَلَكِ الْحُبُّ سَاعِدِي فِي وَغَى الْأَيَّامِ ، وَالْقَلْبُ وَهْنَانٌ أَعْزَلُ !
فَتَعَالَى نَغِيبٌ عَنْ ضَجَّةِ الدُّنْيَا ، وَتَقْضَى عَنِ الْوُجُودِ وَنَزْجَلُ
وَإِلَى عُشْنَا الْجَمِيلِ .. فَفِيهِ هَزَجٌ لِلْهَوَى ، وَظِلٌّ ، وَسَلْسَلُ
وَعَصَافِيرُ لَأْمَنِ تَتَغَنَّيْ بِالْأَتْرَانِيمِ بَيْنَ عُشْبٍ وَجَدُولُ
وَعَرَامٌ مُقَدَّسٌ ، كَادَ يَضْوَى نُورُهُ الْعَذْبُ فِي سَمَانَا وَيُشْبَعْلُ
وَوَفَاءُ يَكَادُ يَسْطَعُ لِلدُّنْيَا بِشَرْعٍ إِلَى الْمُحِبِّينَ مُرْسَلُ ..
عَادَ لِلْعُشِّ كُلِّ طَيْرٍ ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى طَائِرٍ شَرِيدٍ مُجَبَّلُ ..
هُوَ قَلْبِي الَّذِي تَنَاسَيْتَ بَلِّغُوا — هُ . فَأُضْحِي عَلَى الْجِرَاحِ يُوَلُّو !
أَقْبِلِي .. قَبْلَ أَنْ تَمِيلَ بِهِ الرِّيحُ ، وَيَهْوِيَ بِهِ الْفَنَاءُ الْمَعْجَلُ !

[١] سنبلة تحتضر ..

كَانَ لِي عَرْشٌ عَلَى الرَّبِّ — وَفِي مَمْدُودِ الظَّلَالِ
تَهَجَّعُ الشَّمْسُ إِذَا هَلَّتْ — بِهِ فَوْقَ التَّلَالِ
وَالضُّحَى يَخْشَعُ ، وَالْآ — صَالُ تَجْشُّو ، وَاللَّيَالِي ..
عَابِدَاتِ ، سَاجِدَاتِ — فِي ثَرَى النِّيلِ حِيَالِي !

يَا فَرَاشَاتِ الضُّحَى وَاسْ — أَلَنْ عَنْهُ فِي الْكَثِيبِ ،
كَيْفَ وَلِي .. وَتَوَارَتْ شَمْسُهُ خَلْفَ الْمَغِيبِ ؟
وَطَوَتْ أَحْلَامَهُ الْخَضْ — رَاءَ أَشْجَانِ الْغُرُوبِ ،
وَعَرَّتَهُ شَيْبَةً الْإَكْ — فَانِ فِي قَبْرِ الْغَرِيبِ !

كَانَ لِلرَّاعِي بِهِ شَدَّ — وَهُ ، وَلِلنَّحْلِ تَغَنَّى
وَلِفَلَّاحِي بِهِ .. وَيَلَا — هُ ! فَنَ أَيُّ فَنَ ..
قَبْلَ أَنْ تَصْحُوَ شَمْسِي — فِي الرُّبَى يُوقِظُ جَفَنِي
وَيَغَنِّي .. فَيَسَاقِي — نِي الْهُوَى مِنْ كُلِّ لَحْنِ !

وَإِذَا تُرْمِضُهُ فِي الْحَقْلِ أَنْفَاسُ الْهَجِيرِ
يَنْثَنِي تَحْتَ ظِلَالِي غَافِيًا مِثْلَ الطُّيُورِ
حَامِلُهُ : سُنْبُلَةٌ تَرُ — قُصُّ فِي شَطِّ الْغَدِيرِ
فَإِذَا اسْتَيْقَظَ صَاحَتْ فِي الرَّبِيِّ : حَانَ مَصِيرِي !

وَإِلَى أَيْنَ سَيَمَضِي نَعْشُ عَوْدِي وَيَسِيرُ ؟
إِنَّ مَوْتِي لَوْ دَرَى الْإِنْسَانُ بَعَثٌ وَنُشُورُ
فَاسْأَلُوا « الْمُنْجَلَ » عَنِّي فَهُوَ بِالسَّرِّ خَبِيرُ
وَاسْأَلُوا « النَّوْرَجَ » يُبْدِيكُمْ بِحَدَّيْهِ الْمَصِيرُ !



[٢]... هَكَذَا قَالَ «النَّورَج» !

تَحْتَ حَدِّي قِصَّةُ السُّنْبُلِ يَرْوِيهَا الْفَنَاءُ :
غَرَسَتْهُ صَلَّى لَهَا الصُّبْحُ ، وَحَيَّاهَا الْمِسَاءُ
وَاحْتَسَى خَمْرَ هَوَاهَا فِي الضُّحَى ظِلٌّ وَمَاءُ
وَأَنْتَشَى مِنْ سِجْرِهَا طَيْراً — رُ الرُّبَى وَالشُّعْرَاءُ ..
مَلْعَبٌ دُنْيَاهُ أَغْرَا — سٌ ، وَرَقْصٌ ، وَغِنَاءُ
هَلَّلَ الْكُوخُ عَلَيْهِ وَتَنَاجَى الْبُؤْسَاءُ ..
ثُمَّ دَارَ الدَّهْرُ حِينًا .. فَتَشَى فِيهِ الْعَفَاءُ !

«غَرَسَتْهُ صَلَّى لَهَا الصُّبْحُ — حُ وَحَيَّاهَا الْمِسَاءُ»
عَانَقَتْ حَدِّي .. وَقَالَتْ : أَنَا لِلْكَوْنِ فِدَاءُ !
هَاتِ لِي الْمَوْتَ .. فَتَعْنَشِي لِبَنِي الدُّنْيَا غِدَاءُ ...



ويعيش أحرار العقول بظلمها غرباء ..

« .. في تأبين المرحوم « أمين لطفى »

بمسرح حديقة الأزبكية يوم ١٤ فبراير

عام ١٩٣٦ . »

وَتَرَّ عَلَى شَطِّ الْمَنِيَّةِ غَافِي
مَاتَتْ أَغَانِي الرُّوحِ فَوْقَ مَهَادِهِ
يَا مَنْ عَشِقْتَ نَشِيدَهُ مُتَسَلِّسًا
إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَبٍ عَلَيْهِ وَرَحْمَةٍ
قَدْ كَانَ مُلْهِمُهُ الْحَبِيبُ مَنْعَمًا
مَلَّاحُهُ مَلَكٌ يَقُودُ زَمَامَهُ
يَسْرَى بِهِ وَالطُّهْرُ مَدَّ شِرَاعَهُ
فِي جَوْقَةِ النُّوتَى أَتَقَظُّ رُوحَهُ
فَشَدَا وَرَنَّمِ وَالطُّيُورُ حَيَالَهُ
تُصْنَعِي لَهُ نَشْوَى كَأَنَّ هُتَافَهُ
وَهَبَتْ لَهُ مِزْمَارَهَا فَأَعَارَهُ

شَلَّتْ عَلَيْهِ أَنْامِلُ الْعِزَافِ
وَذَوَتْ رُؤَى الْأَشْبَاحِ وَالْأَطْيَافِ
مِنْ هَائِجٍ صَخَبٍ، وَمِنْ هَفَافٍ
مَزَّقَ بِقَلْبِكَ سِتْرَ كُلِّ شَغَافٍ
فِي زَوْرَقٍ حَوْلَ الضُّحَى طَوَافٍ
فِي هَالَةٍ مِنْ نُورِهِ الرِّفَافِ
لِجَلَالِ مَرْفَاقِهِ وَقُدْسِ صُنَافِ
شَجَنِ الْمَسَاءِ بِهَمْسَةِ الزَّفَافِ
خُرُوسِ الْحَنَاجِرِ هَجَّ الْأَطْرَافِ
زَفَّ الصَّدَى لِقَوَادِمِ وَخَوَافِ
لَحْنِ الضُّحَى وَقَصِيدَةِ الْمَجْدَافِ

واليمُّ صديانُ الحشا متلهّفٌ
والكونُ أشيبُ خدرتهُ نفاثَةٌ
يا مَنْ رأى الدنيا تحارُ سفينةً
وأقَى المساءِ لحظّها متجهّماً
دجوان مصطخبِ الرياح تنوحُ في
فتهافت الملاحُ يطلبُ نجوةً
سبق الردى لك يا مؤمِّلُ خُلده
.....

سَلَّ عنه في يوم^(١) «استفانو» مَوْفَقاً
كفَّ مطهّرةً تصافحُ اختها
وتروحُ كفُّ الظلمِ تبسُّطِ خمسِها
والله يشهدُ أنّها ما استأثمتْ
عُذْرِيَّةً مَدَّتْ أُناملها هَوًى
فيحوطها الشكُّ الأثيمُ وينبرى

خِلْتُ الوقوفَ به على الأعرافِ
فيقالُ: آثمةٌ! من الأبحافِ
نقماً.. وتسرفُ أيماً إسرافِ
يوماً ويشهدُ ساحلُ المصطافِ
ومحبةً تهفو لخلِّ وافِ
لعقابها الألاحى بلا إنصافِ

(١) في عهد سياسي غاشم . . . صافح الفقيه صديقه الوفي معالي النقراشي باشا
«بكازينوسان استفانو» بالاسكندرية، فلقى من الحكومة حينئذ كل عنت واضطهاد.

وهي التي لو لامست قلب الصفا
وعقيدة كادت تضيء قداسة
إن عاش فيها المستضام فراهة
شرف الجهاد عقيدة لم يغوها
يا أمة يسقى المداهن يدها
ويعيش أحرار العقول بظلمها
أمن يظل على المبادئ ثابتا
ودفنت في وضر الجحود ضياءه
ماذا عليك إذا سقيمت غراسه
كرمه بعد المات ومن سوى
قد كان في الصمت المجاهد آية
نار تنز بجدول مترق
وذباله تذكي الفناء لعمرها
هو ذا الجهاد فلا تقل بوق الله
كم حكمة صرخت بنطق شاعر

لأذاع عطر الروح للمستاف..
إن غال صبح القوم ليل خلاف
فهو الذي يرضى بعيش كفاف
بهج الحلى وبهرج الأفواف
شهد المني، والحر كأس ذعاف
غرباء، من عنت الزمان الجافي
قدفته في البؤس شر قذاف
دفن الثرى للجوهر الشفاف
حيًا، وقد أولاك عذب قطاف
كفئك زف الموت أي زفاف
أعيت سرائرها حبا الوصاف
ولظى يشب بزنبق رفراف
وخيوطها بالنور جد صوافي
يهدى بطنطنة ورجف هتاف
ونصيبه منها خيال خرافي

زَفَرَةٌ عَلَى « فَلَسْطِينَ » الدَّامِيَّة !!

« ... وإلى ريح « التَّامِيز » العاتية !! »

صَوْتُ بَارُضٍ « الْقُدُس » مُشْتَعِلُ الصَّدَى

كَادَتْ لَهُ الْأَكْبَادُ أَنْ تَتَوَقَّدَا

لَمَّا تَأَوَّهَ صَارِخًا بَيْنَ الْوَرَى

جَزَعَ « الْمَسِيحُ » لَهُ وَلَوْ لَا طَهْرُهُ

رُهْبَانُهُ فِي الْغَرْبِ .. مَنَبَعُ حِكْمَةٍ

رَشَفُوا مِنْ « الْإِنْجِيلِ » فَيُضِ رَشَادُهُ

وَتَخَشَّعُوا حَوْلَ الْهِيَا كُلِّ سُجْدَا

وَشَدَّوْا بِمِلْحَمَةِ السَّلَامِ ، وَرَنَمُوا

مَزْمُورَهُ لِأَلَّا يَكُونَ خَلَابُ الصَّدَى ..

لَكِنَّ شَعْبَهُمْ أَثَارَ عَجَاجَةٍ

فَإِذَا التَّعَالِيمُ الَّتِي هَتَفُوا بِهَا

مِنْ سَوْرَةِ الْأَطْمَاعِ قَدْ ضَاعَتْ سُدَى !

وَإِذَا بَلَحْنَ السَّلَامَ بَيْنَ شِفَاهِهِمْ

عَصَفَتْ بِهِ شَهْوَاتُهُمْ فَتَبَدَّدَا !

تَحِذُوا الرِّصَاصَ شَرِيعَةً قُدْسِيَّةً
لَمْ يَرْهَبُوا التَّارِيخَ فِي اسْتِعْمَارِهِمْ
لَطَمُوهُ فِي الْقُدْسِ الْمُحَرَّمِ لَطْمَةً
مَهْدُ الشَّرَائِعِ مِنْ قَدِيمٍ .. مَالَهُ
فِي كُلِّ مُرْتَبِعٍ بِهِ ، وَحَنِيَّةً
هَانَتْ عَلَى الْبَطْلِ الْمُجَاهِدِ نَفْسُهُ
وَقَدَائِفَ الْأُرَاحِ نَهَجًا مُرْشِدًا
أَنْيَّ سَطَوْا وَكَزُّوهُ .. أَرْوَعَ سَيِّدًا
كَادَتْ لَهَا الْأَجْبَالُ أَنْ تَتَهَدَّهَا
أَضْحَى لِأَحْرَارِ الْبَرِيَّةِ مَوْقِدًا
تَلْقَى صَرِيعًا فِي التُّرَابِ مُمَدِّدًا

فَسَعَى لِحَوْضِ الْمَوْتِ يَطْلُبُ مَوْرِدًا
أَلْقَى إِلَى اللَّهِ الْمُسَعَّرِ رُوحَهُ ..

وَكَذَا يَكُونُ الْحُرُّ فِي يَوْمِ الْفِدَا !!
اللَّهُ فِي وَطَنِ النُّبُوَّةِ !! نَالَ مِنْ

شَرِّهِ الطُّغَاةِ الْيَوْمَ حَظًّا أَنْكَدًا :
الْفِتْنَةُ الشَّعَوَاءُ هَاجَتْ قَلْبَهُ
لَمْ تَبْقَ فِيهِ كَنِيسَةٌ أَوْ مَسْجِدًا
شَرَعَتْ مِنْ الرِّقِّ الْبَغِيضِ سِلَاحَهَا

تَتَفَزَّعُ الْأَقْدَارُ إِمَّا جُرْدًا
صَرَخَ الضَّعِيفُ شِكَايَةً مِنْ هَوْلِهَا

فَمَحَى اللَّهُيبُ صُرَاخَهُ فَتَشَرَّدَا

فَتَخَالَهُ وَالصَّدْرُ يَنْفُثُ نَارَهُ

مِنْ كُلِّ زَافِرَةٍ تَرْيْقُ الْأَكْبَدَا ،
 حَمَلًا يَدُ الْجَزَارِ دَقَّتْ عُمُرَهُ
 فَقَضَى بِصَرَخَتِهِ عَلَى حَدِّ الْمَدَى !
 مَحَنٌ مُرَزَّةٌ أَوْ مَوْتُ عَاصِفٍ
 لَمْ يَبْقَ شَيْخًا فِي الْحِمَى أَوْ أَمْرَدَا
 يَارُبَّ وَادٍ فِي الصَّبَاحِ مُنْضَرِّ
 غَيْسَانٍ بَاكَرُهُ السَّنَا فَتَأَوَّدَا
 وَسَرَى دُخَانُ الْمَوْتِ أَقْتَمَ أَرْبَدَا ،
 لَمَّا دَهَتَهُ الْحَادِثَاتُ صَحِيَّةً
 وَتَصَاوَحَتِ فَعَدَّتْ مَحِيلًا أَجْرَدَا
 نَفَضَتْ خَمَائِلُهُ شَبِيبَةَ عُمُرِهَا

مَا ذَنْبُهَا ؟ ! مَا ذَنْبُ صَيْدَحِهَا الَّذِي

قَدْ كَانَ يَسْجَعُ فِي الظَّلَائِلِ مُنْشِدَا ؟ !
 خُتِمَتْ مَزَاهِرُهُ أَوْ مَاتَ نَشِيدُهُ !
 وَنَأَى عَنِ الْوَطَنِ الْحَبِيبِ وَأُفْرَدَا !
 لَوْلَا هَيَاجُ الْحَرِّ دِيسَ مِهَادِهِ
 لَثَوَى بِجَنَّتِهِ وَظَلَّ مُغَرَّدَا !

يَا يَوْمَ « بَلْفُورٍ » وَشَوْءُكَ خَالِدٌ مَاضِرٌ لَوْ أَخْلَفْتَ هَذَا الْمَوْعِدَا ؟ !
 عَاهَدْتَ أَغْزَالَ الْجُسُومِ ، سِلَاحَهُمْ
 مَا كَانَ إِلَّا الْحَقُّ صَاحٍ مُقِيدَا

وَتَرَ كَيْتَهُمْ رَهْنِ الْمَطَامِعِ تَبْتَغِي
ثَارُوا بِأَرْضِ اللَّهِ ثَوْرَةَ عَاجِزٍ
هَاجُوا عَلَى الْأَصْفَادِ هَيْجَةً نَاسِكٍ
هَجَمَتْ عَلَى الْغَارِ الْمُطَهَّرِ فِي الدَّجَى
مِنْهُمْ عَلَى حُرِّ الْمَوَاطِنِ أُعْبِدَا
سَمِعَ الْقَوَى شَكَاتَهُ فَتَوَعَّدَا
زَحَمَتُهُ آثَامِ الصَّبَا فَتَمَرَّدَا
فَأَثَارَ عَزْلَتَهُ ، وَهَاجَ الْمُعْبِدَا .
صَجُّوا عَلَى « نَابُلَس » (١) حَتَّى كَادَ مِنْ

صَنَبَ الْأَسَى وَالْحَزْنَ أَنْ يَقْنَعِدَا
عَجَبًا ! يَكَادُ الصَّنْعُ يَذْمَعُ رَحْمَةً
وَمَعَالِمُ الْإِسْلَامِ بَيْنَ رُبُوعِهِمْ
بَسَطَتْ إِلَى قَدَمِ النَّزِيلِ رِحَابَهَا
وَهُوَ الَّذِي لَوْ لَا نَعِيمُ ظِلَالِهَا
لَمْضَى عَلَى كَنْفِ الْوُجُودِ مُشَرَّدَا !
صَنَبَ الْأَسَى وَالْحَزْنَ أَنْ يَقْنَعِدَا
لَهُمْ ! وَقَلْبُ الْآدَمِيِّ تَصَلَّدَا
كَادَتْ تُزْجِرُ لَهْفَةً وَتَوْجَدَا
فَبَغَى عَلَى قَسَمَاتِهَا وَتَهَدَّدَا
لَمْضَى عَلَى كَنْفِ الْوُجُودِ مُشَرَّدَا !

وَالشَّرْقُ ؟ وَيَنْحَ الشَّرْقُ ! نَامَ أُسُودُهُ
عَنْ ثَأْرٍ فِي الْقُدْسِ صَحَّ وَأَرْعَدَا
شَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ ! وَنَامَ جِهَادُهُمْ !
وَتَصَرَّعُوا فِي كُلِّ مَهْدٍ هَجْدَا ! !

(١) جبل بفلسطين .

جِيلُكُمْ مَاتَ .. فَدُسُّوا نَعْشَهُ !

« يا وطني ! لا أملك غير هذا القلم ، أنفث
منه ثورتى الصامته على جيلك ... وهو في غمرة
التطاحن الحزبي لا يكاد يفيق !! »

جِيلُكُمْ شَابَ .. فَوَارُوا ضَعْفَهُ واحرقوه بملطى الدَّمِّ الْجَدِيدِ
كفّنوه مِنْ بِلَى أَيَّامِهِ وادفّنوه في ثرى الماضى البعيدِ
واذْهَبُوا لَا تَنْدُبُوهُ لِلوُجُودِ !

هُوَ جِيلٌ لَعِبَ الْقَيْدُ بِهِ مِنْذُ مَارَنَ عَلَى أَرْضِ الْحِمَى
فَاصْعَقُوهُ ! وَاحْطُمُوا أَصْفَادَهُ وافزعوا بالعزم أبراج السّما
شُرْعَةُ الْأَغْلَالِ جَاءَتْ لِلْعَبِيدِ !

أَمْشِكُمْ (مِصْرُ) وَفِي تَارِيخِهَا مَا يَرُدُّ الْغَرْبَ نَدْيَانِ الْجَبِينِ
فَاسْأَلُوهَا .. وَاسْمَعُوا فِي تَرْبِهَا يُزْعِجُ الْآفَاقَ صَوْتُ الرَّاقِدِينَ
مِنْ هُنَا تَسْطَعُ أَنْوَارُ الْخُلُودِ !

جِيلُكُمْ مَاتَ .. فَدُسُّوا نَعْشَهُ فَهْوَعَارٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَنِ
مَزَقَتْ قَلْبَ الْحِمَى أَطْمَاعُهُ فَارْجُمُوهُ ، يَا شَبَابَ الْوَطَنِ
وَلَا حِزَابِ الْحِمَى شَقُوا الْخُلُودِ !

السِّيَاسَاتُ كَلَامٌ وَصَدَى
وَالْكَرَاسِيُّ إِذَا أَبْصَرَتْهَا
وَزَعَامَاتٌ، وَخُلْفٌ، وَخِصَامٌ
مَوْرِدٌ أَقْلَقَ شَطِئَهُ الزَّحَامُ
فَهِيَ تَنْعَى مِنْ أَسَاها وَتَمِيدُ !

فَأَنْهَضُوا، فَأَلْعَصِرُ وَثَّابَ الْخُطَا
وَلَكُمْ مِنْ عَرْشِكُمْ أَعْلَى مَثَلُ
مَلِكٌ يَطْمَحُ لَوْ نَالَ السُّهَى
وَتَخَطَّاهَا وَأَسْرَى بِالْأَمَلِ
وَعَلَا بِالنَّيْلِ فِي هَامِ الْوُجُودِ !!



هكذا أغنى

إِنَّ تَسَلَّ فِي الشَّعْرِ عَنِّي .. هَكَذَا كُنْتُ أَغْنِي !
 لَا أَبَالِي أَشْجَى سَمْعَكَ أَمْ لَمْ يُشْجِ لَحْنِي !
 هُوَ مِنْ رُوحِي لِرُوحِي صَلَوَاتٌ ، وَتَغْنِي
 وَهُوَ مِنْ قَلْبِي يَنْأِي — عُهَا يَهْدُرُ فَنِي
 لِلْأَسَى فِيهَا تَعَالِي — وَلَيْلٍ ، وَلَيْلٍ أَسَى تَمْنِي
 وَهُوَ إِحْسَاسِي الَّذِي يَذْ — سَابُ كَالْجَدُولِ مِنِّي
 وَابْتُ كَالطَّيْرِ فِي الْأُظْلَالِ مِنْ غُصْنٍ لِعُصْنِ
 ذَاهِلٍ كَالْوَتْرِ الْمَمِّ — جُورٍ فِي عُودِ الْمُغْنِي
 سَاهِمُ الْأَنْفَاسِ حِينَا ن .. أَيَّسَكِي أَمْ يُغْنِي ؟
 لَمْ يُصِبْ مِنْ دَهْرِهِ غَيْرَ — جُودٍ وَتَجَنِّي
 فَانْبَرَى يَعْصِفُ فِي دُنْيَاهُ بِالشَّدْوِ الْمُرْنِ
 زَاجِلًا تَذْكِي صَدَاهُ نَارُ أَيَّامِي وَحَزَنِي
 إِنَّ تَرْدَمْنَاهُ سَلَوًا عَنْ أَسَاهُ .. فَاْمُضْ عَنِّي

هكذا يخفق نايي بين إلهامي وبينى
يلهم الله... فيمضى وتر الروح يغنى
فسواء رخت تغضى لائماً.. أورخت تُذنى
من هرى نشوان لا تو قطه ضجة كوني !
مذهبي ؟ لا مذهب الي — وم سوى أصداء لحنى
ولها الخلد ! ولى فى ظلها سحر التغنى
هى خمري ! وهى حانى ! وهى أعنابى وذنى
قد وهبت الفن عمرى ووهبت الشرق فنى
فليلم من شاء .. إني راسخ كالطود جنى
فاذا رق .. فقل : يا قبلة الأسحار غنى !
وإذا هاج .. فهول ساقه موكب جن !
« إن تسلم فى الشعر عني هكذا كنت أغنى ! »
إن تشأ فاسمع نشيدى .. أو تشأ فارحل ودعنى !
وإذا أشجاك همس من صداه .. لا تلمنى !
ما أنا إلا كظل لشعورى .. فاعف عني !

فهرس

الصفحة	رمز القصيدة	الصفحة	رمز القصيدة
	من نور فاروق :	٩٧	لم يطب للنبوغ فيك مقام
١	بين يدي المليك		هكذا أغنى :
٧	تغريدة في سماء عابدين	١٠٧	وطن الفأس
١٥	يوم التاج	١١٤	من لبيب الحرمان
٢٥	عرش يتهادى على النيل	١١٨	الشادوف
٢٩	ميلاد الفاروق	١٢١	دمعة في قلب الليل
٣٦	الفاروق في بيت الله	١٢٥	الشعرة الهاربة
	من نار المعترك :	١٢٦	عاهل الريف
٣٩	راهب الغرب	١٣٢	من مرج عبقر
٤٥	على مذبح الحرية	١٣٦	إلى دخان الكوخ
٥٥	إني سائر للخلود	١٣٧	عارية (ستانلي باي)
٥٨	على قبر الجراحى	١٤١	ضجة الروح .. فى يوم عيد
٦٠	من ذلك السارى ؟	١٤٤	إلى سجنينة القصر
٦٤	مرثية غصن الزيتون	١٤٨	دنيا أدمع وما آتم
٦٩	سائل الخنجر عنهم والخياما	١٥٢	صوتها فى ضميرى
٧٠	فى وادى النسيان	١٥٧	الصاحب المجنون
٨١	ثورة الاسلام فى بدر	١٦٢	أسرعى قبل أن تموت الأغانى
٩٠	عزاف اللفظى	١٧٠	إلى قلبى العليل

الصفحة	رمز القصيدة	الصفحة	رمز القصيدة
١٧٣	أنا	٢١٨	الغزلة
١٧٥	حين أطرقت ملمحتي	٢١٩	هكذا قالت دودة القبر
١٧٨	إلى موسيقى النعوش	٢٢٠	هكذا قالت البغى
١٧٩	راهب النخيل (الغراب)	٢٢٢	بحيرة النسيان
١٩٨	الذهول	٢٢٣	أنت دير الهوى ..
٢٠١	أغنية ذابلة	٢٢٧	[١] سنبله تحتضر
٢٠٢	الصديق	٢٢٩	[٢] هكذا قال « النورج »
٢٠٣	الشعاع المقيد	٢٣٠	ويعيش أحرار العقول ...
٢٠٩	آهة شقى	٢٣٣	زفرة على « فلسطين »
٢١٠	يغنى على أمل ...	٢٣٧	جيلكم مات ...
٢١٣	شعر	٢٣٩	هكذا أغنى !
٢١٥	دمعة وفاء		

تصويب

« يرى القارىء بهذا الديوان تشاراً من الخطأ المطبعي ، أتينا في الاستدراك التالى على أهمه ... والكمال لله وحده ! »

صفحة سطر	الخطأ	الصواب	صفحة سطر	الخطأ	الصواب
٨ ٣	وأرفلى	وارفلى	٣٣ ٢	خلة	خيلة
٩ ٤	محير	محير	٤٣ ٨	شعرات	شعرات
١٠ ٥	يمثل	بمثل	٦٨ ٣	يأسو	تأسو
١٧ ٧	خطرت	خطرت	٨٩ ٥	... إسلامه	ومن إسلامه
٢٠ ٥	قسيم	وقسيم	٩١ ٤	كلها	كلما
٢٠ ٦	الدهر	الدهر	٩١ ٧	الحجارة	الحجارة
٢٢ ١	المجد نشر	المجد نشر	٩٥ ٦	ومساح	ومساح
٢٣ ٦	حوم	حرم	١٠١ ٧	شباب	ولا شباب
٢٤ ١	النبي	النبي	١١٣ ٥	رشفن	ورشفن
٢٤ ٢	والطير	والطير	١١٣ ٤	غزل المروج	غزل في المروج
٢٤ ٣	فاطرب	فاطرب	١٣٦ ٧	الحدثان	والحدثان
٢٧ ١	الجدع	الجدع	١٣٧ ٤	روعه	روعة
٣٢ ٦	بعد طال	بعد ما طال	١٧٧ ٤	سابع	سابع
٣٢ ٧	الأنين	الأنين	٢٠٤ ٧	البغى	البغى



4 NOV 1990

AUC - LIBRARY



DATE DUE

9 OCT 1990	
28 OCT 1990	9 MAR 1992
31 AUG 1991	
	A.U.C.
3 MAR 1991	3 MAR 1994
	A.U.C.
4 MAR 1991	27 OCT 1994

OCT - 1975

514 NOV 1990



1 0 0 0 0 1 2 3 9 6 2

